شبهات المستشرقين حول غزوات النبي (ﷺ)

يهود بني قينقاع والنضير وقريظة وخيبر

والرد عليها

إعداد الدكتور

البدري عبد المجيد أحمد سالم

أستاذ الحديث وعلومه، قسم أصول الدين

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

جامعة الأزهر

شبهات المستشرقين حول غزوات النبي ﷺ يهود بني قينقاع والنضير وقريظة وخيبر والرد عليها

البدري عبد المجيد أحمد سالم

قسم أصول الدين، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، جامعة الأزهر.

البريد الإلكتروني: drbadrysalem71@gmail. com

الملخص:

البحث يدور حول بعض الشبهات التي أثارها بعض المستشرقين حول غزوات رسول الله ﷺ اليهود بمخلف طوائفهم ومواطنهم، والتي قصدوا من خلالها إظهار الإسلام ونبي الإسلام وأتباعه الأول من أصحاب رسول الله ﷺ بمظهر الحرص على العداء لغير المسلمين، ودوافع هذا العداء من وجهة نظرهم، الرغبة المادية من الحرص على التمكن من أموال مخالفيهم في الدين، وأيضاً لعدم دخول هؤلاء طواعية في الإسلام، ومن ثم مبادرتهم بالغزو والقتال والقتل، وهذا ما يخالف الواقع والأحداث، وهذا ما قمت به في دراستي المنهجية للرد على تلك الشبهات، حيث أظهرت الدراسة ضعف تلك افتراءات، ومخالفتها للواقع الحسن في حسن معاملة المسلمين مع غيرهم، وما وقع من عداءات بعد ذلك، فإنما هو دفعاً لعداء غير المسلمين، وعقاباً لخيانتهم العهود والمواثيق التي لم يلتزموا بها، بل سارعوا في نقضها.

وقد توصل البحث إلى إظهار الكذب والافتراء من قبل أولئك المستشرقين على الإسلام وأتباعه، كما تجلى فيه بوضوح حقيقة السلم والسلام في هذا الدين الحنيف، وأنه سلم وأمان لمن راعى ضوابط السلم والسلام، لكنه في الوقت ذاته يدفع عن ذاته أن يقصد بكيد أو عداء بمختلف السبل التي تبقي عليه أحكامه وآدابه، وتحفظ على أتباعه سلامة المال والدم والعرض.

الكلمات المفتاحية: الشبهات، الاستشراق، اليهود، المعاهدات، نقض، الخيانة.

Orientalist Objections to the Prophet's ﷺ Battles Against the Jewish Tribes of Banu Qaynuqaʿ، al-Nadir، Banu Qurayza، and Khaybar: A Critical Rebuttal

Al-Badry Abdel-Megid Ahmed Salem
Professor of Hadith and Its Sciences، Department of Fundamentals of Religion ،
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys، Qena – Al-Azhar University
Emails: | drbadrysalem71@gmail. com

Abstract:
This study addresses a series of objections raised by Orientalists concerning the Prophet Muhammad's ﷺ battles against the Jewish tribes of Banu Qaynuqaʿ، Banu al-Nadir، Banu Qurayza، and Khaybar. These critiques often aim to portray Islam، its Prophet ﷺ، and his Companions as being inherently hostile toward non-Muslims. From the Orientalist perspective، the Prophet's motivations were allegedly rooted in material gain—seeking to seize the wealth of those who rejected Islam—and in punishing them for not embracing the new faith willingly، thereby initiating conflict، conquest، and bloodshed.

The research offers a methodical response to these claims، demonstrating their falsity and the extent to which they contradict historical facts and the ethical conduct exemplified by Muslims in their treatment of others. The study reveals that the actual causes of these confrontations were defensive in nature—triggered by the repeated violations of treaties and acts of treachery committed by these tribes against the Prophet ﷺ and the Muslim community. The research highlights the inaccuracy and maliciousness of such Orientalist allegations، and it reaffirms the peaceful essence of Islam—a religion that upholds peace and security for all، so long as those principles are reciprocated. Islam responds to hostility only when provoked and does so within the framework of justice، in defense of its adherents and the preservation of their blood، property، and honor.

Keywords: Objections، Orientalism، Jews Treaties، breach، treason.

.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فقد أثيرت بعض الشبهات (١) من قبل بعض المستشرقين (٢) حول غزوات رسول الله ﷺ اليهود (٣) على اختلاف قبائلهم ومواطنهم، ومن ثم لزم الرد على تلك الشبهات، وإظهار وجه الصواب في ذلك، وتبعاً لهذا المقصد، فقد جاء هذا البحث، بعنوان " شبهات المستشرقين حول غزوات النبي ﷺ يهود بني قينقاع والنضير وقريظة وخيبر والرد عليها "، وقد كثرت الدراسات في الرد على الشبهات المثارة حول السيرة النبوية، لكني لم أقف على بحث مستقل يعني بما قصدته من دراسة في نقاطها المحددة، وقد جعلت بحثي في مقدمة وتمهيد وأربعة مطالب وخاتمة ذكرت فيها أهم نتائج البحث ثم فهرس المصادر

(١) الشُّبْهةُ: الالتباسُ، وأُمورٌ مُشْتَبِهةٌ ومُشَبِّهَةٌ: مُشْكِلَة يُشْبِهُ بعضُها بَعْضًا، وشَبَّهَ عَلَيْهِ: خَلَّطَ عَلَيْهِ الأَمْرَ حَتَّى اشْتَبَه بِغَيْرِهِ / لسان العرب ١٣ / ٥٠٤.

(٢) الاستشراق: تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته / الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٢ / ٦٨٧.

(٣) كَانَ لَهُ - ﷺ - مَعَ الْيَهُودِ أَرْبَعُ غَزَوَاتٍ، أَوَّلُهَا: غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ بَعْدَ بَدْرٍ، وَالثَّانِيَةُ: بَنِي النَّضِيرِ بَعْدَ أُحُدٍ، وَالثَّالِثَةُ: قُرَيْظَةُ بَعْدَ الْخَنْدَقِ، وَالرَّابِعَةُ: خَيْبَرُ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ / زاد المعاد في هدي خير العباد ٣ / ٢٢٣.

والمراجع[1] العلمية التي استقيت منها مادة البحث:

المطلب الأول: شبهات المستشرقين حول غزوة بني قينقاع والرد عليها:

المطلب الثاني: شبهات المستشرقين حول غزوة بني النضير والرد عليها:

المطلب الثالث: شبهات المستشرقين حول غزوة بني قريظة والرد عليها:

المطلب الرابع: شبهات المستشرقين حول غزوة خيبر والرد عليها:

(١) اعتمدت في النقل على طبعة واحدة فقط؛ ولذا جعلت التعريف الكامل بالمصدر أو المرجع آخرا في الفهارس، دفعا للتكرار.

التمهيد

لما قدم النبي ﷺ المدينة مهاجراً، عقد العهود والمواثيق مع سكانها من اليهود على اختلاف قبائلهم وبيوتهم، ومنهم القبائل الثلاث المقيمين بالمدينة – يهود بني قينقاع والنضير وقريظة – وحفظ لهم حقهم في السلم والأمان، كما أمن بذلك جانبهم من الغدر والعداء.

أخرج ابن زنجويه بإسناده إلى ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّهُ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ كَتَبَ بِهَذَا الْكِتَابِ.. وفيه: " وَأَنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَأَنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ دِينُهُمْ، وَمَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لا يَوْتِغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجَّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ، وَأَنَّ لِيَهُودِ الْأَوْسِ مِثْلَ ذَلِكَ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ، فَإِنَّهُ لا يَوْتِغُ [1] إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَأَنَّهُ لا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بِإِذْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ، عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتُهُمْ، وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتُهُمْ، وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَأَنَّ بَيْنَكُمُ النُّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ وَالنَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ، وَأَنَّ الْمَدِينَةَ جَوْفُهَا حَرَمٌ لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَأَنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوِ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ، فَإِنَّ أَمْرَهُ إِلَى اللّه وَإِلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ، وَأَنَّهُمْ إِذَا دَعَوُا الْيَهُودَ إِلَى صُلْحٍ حَلِيفٍ لَهُمْ بِالْأُسْوَةِ فَأَنَّهُمْ يُصَالِحُونَهُ وَإِنْ دَعَوْنَا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَإِنَّ لَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، إِلَّا مَنْ حَارَبَ الدِّينَ، وَعَلَى كُلِّ أُنَاسٍ حِصَّتَهُمْ مِنَ

(١) الوَتَغُ، بِالتَّحْرِيكِ: الهَلاكُ، وَتِغَ يَوْتَغُ وتَغًا: فسَدَ وهلَكَ وأَثِمَ / لسان العرب ٨ / ٤٥٨.

النَّفَقَةِ، وَأَنَّ يَهُودَ الْأَوْسِ وَمَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ مَعَ الْبِرِّ الْمُحْسِنِ مِنْهُمْ، مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ [1].

هذا مضمون العهد والميثاق مع تلك الطوائف من اليهود، فهل يوفون بالعهود والمواثيق أم يعكرون صفو السلم والأمان؟ هذا ما تظهره مطالب هذا البحث ومفرداته.

(١) الأموال لابن زنجويه ٢ / ٤٦٦ رقم ٧٥٠، إسناده ضعيف؛ لإرساله.

المطلب الأول

شبهات المستشرقين حول غزوة بَنِي قَيْنُقَاع [١] والرد عليها

وفيه شـبهة واحدة: الزعم بأن العلة في غزو بني قينقاع وجود جيوب منهم لمقاومة الإسلام:

يرى المستشـرق ألفريد جيوم [٢] بأنه: " مما لا شـك فيه أن وجود بعض (جيوب) المقاومة من اليهود الناقمين كان مدعاة لقلقه، وكان لابد له من القضـاء عليها حتى يخوض الحرب هو ومن آمن، وكانت أول جماعة قاسـت من جراء هذه السياسـة بنى قينقاع، الذين كان معظمهم من أرباب الصياغة " [٣].

ثم يذكر بأن الأوس من حلفاء بنى قينقاع عندما أمر الرسول بإعدامهم تشفع لهم زعيم الأوس [٤]، فرد عليهم حياتهم، لكنه أجبرهم على الرحيل [٥].

---

(١) يَوْمَ السّبْتِ لِلنّصْفِ مِنْ شَوّالٍ، عَلَى رَأْسِ عِشْرِينَ شَهْرًا، حَاصَرَهُمْ النّبِيّ ﷺ إلَى هِلَالِ ذِي الْقَعْدَةِ / المغازي ١ / ١٧٦.

(٢) الفريد مجيوم – **Guillaume. A** (المولود عام ١٨٨٨) ، تخرج من جامعة أكسفورد، وعمل في فرنسا ومصر خلال الحرب العالمية الأولى، وعين محاضراً للغة العبرية في المعهد الملكي بلندن (١٩٢٠)، وأستاذاً للغات الشرقية في جامعة درهام (١٩٢٠ – ١٩٣٠) ، آثاره: تراث الإسلام – بمعاونة أرنولد، واليهود والعرب، والإسلام، وقد نقله إلى العربية الدكتوران: محمد مصطفى هداره، وشوقي السكرى / المستشرقون ٢ / ٥٤٣.

(٣) الإسلام ص ٤٤.

(٤) زعيم الخزرج وليس الأوس كما سيأتي في الرواية من كتب السير.

(٥) الإسلام ص ٤٤.

الـــرد:

لم تكن هناك حرب - أو حتى مناوشـــات بنزاع أو قتال - بين المســـلمين ويهود بنى قينقاع، حتى ينطق المســتشـرق بلفظ المقاومة، - ومن ثم يرتب على ذلك وجوب القضـاء عليهم -، وإنما لا تزال العهود والمواثيق والمهادنة معهم قائمة، لكن ما إن دعاهم رســول الله ﷺ إلى الإســلام بعد غزوة بدر، حتى بدت منهم مخابر الحقد والضــغينة على الإســلام وأتباعه، ومع هذا لم يبادرهم النبي ﷺ بعداء، حتى خانوا عهدهم معه بالعداء على حرمة المرأة المسلمة.

قَالَ ابْنُ إِسْــحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَاصِــمُ بن عُمَرَ بن قَتَادَةَ: أَنّ بَنِي قَيْنُقَاعَ كَانُوا أَوّلَ يَهُودَ نَقَضُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَحَارَبُوا فِيمَا بَيْنَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ [1].

بعد غزوة بدر الكبرى يحرص النبي ﷺ على دعوتهم لدينه، لكنَّ قبح أخلاقهم يأبى عليهم إلا سوء الرد.

أخرج أبوداود بإسناده إلى ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنهما، قَالَ: لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللّه ﷺ قُرَيْشًــا يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ [2] الْيَهُودَ فِي سُــوقِ بَنِى قَيْنُقَاعَ، فَقَالَ: " يَا مَعْشَــرَ يَهُودَ أَسْــلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِــيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَــابَ قُرَيْشًــا "، قَالُوا يَا مُحَمَّدُ لاَ يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِــكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ، كَانُوا أَغْمَارًا [3] لاَ يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِي ذَلِكَ { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا [4] سَــتُغْلَبُونَ }

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٦.

(٢) (جمع) قبيلة (اليهود) / شرح سنن أبي داود لابن رسلان ١٣ / ٢٥ رقم ٣٠٠١.

(٣) الأَغْمارُ: جَمْعُ غُمْر، بِالضَّمِّ، وَهُوَ الْجَاهِلُ الغِرُّ الَّذِي لَمْ يُجَرِّب الأُمور / لسان العرب ٥ / ٣٢.

(٤) فيه دلالة على أن هذِه الآية في بني قينقاع خلافًا لأقاويل أخر / شرح سنن أبي داود لابن رسلان ١٣ / ٢٦ رقم ٣٠٠١.

[آل عمران: ١٢] قَرَأَ مُصَرِّفٌ إِلَى قَوْلِهِ {فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّه} [آل عمران: ١٣]، بِبَدْرٍ {وَأُخْرَى كَافِرَةٌ} [آل عمران: ١٣] (١).

لا يخفي ما في ردهم من تحد وتهديد، مع أنهم كانوا قد انضموا تحت لواء رئاسته بموجب المعاهدة (٢).

بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفي صدوهم من العداء للإسلام وأتباعه أكبر، أظهره قبح تصرفهم مع المرأة المسلمة في سوق تجارتهم.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَذَكَرَ عَبْدُ اللّهِ بن جَعْفَرِ بن الْمِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ، عَنْ أَبِي عَوْنٍ قَالَ: كَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي قَيْنُقَاع أَنّ امْرَأَةً مِنْ الْعَرَبِ قَدِمَتْ بِجَلَبٍ لَهَا، فَبَاعَتْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَجَلَسَتْ إلَى صَائِغٍ بِهَا، فَجَعَلُوا يُرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا، فَأَبَتْ فَعَمِدَ الصّائِغُ إلَى طَرَفِ ثَوْبِهَا فَعَقَدَهُ إلَى ظَهْرِهَا، فَلَمّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوْأَتُهَا، فَضَحِكُوا بِهَا، فَصَاحَتْ، فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصّائِغِ فَقَتَلَهُ وَكَانَ يَهُودِيّا، وَشَدّتْ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ، فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ، فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ فَوَقَعَ الشّرّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنُقَاعَ(٣).

قال الأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شُهبة – رحمه الله –: لا تنس ما لهذا العمل الدنيء من إثارة النفوس العربية التي جبلت على حماية الأعراض، وصيانة النساء من مثل

(١) سنن أبى داود – كتاب الخراج – باب كَيْفَ كَانَ إِخْرَاجُ الْيَهُودِ مِنَ الْمَدِينَةِ ٣ / ١١٥ رقم ٣٠٠٣، السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٦، ومن طريقه أخرجه البيهقي في السنن الكبرى – كتاب الجزية – باب مَنْ لاَ تُؤْخَذُ مِنْهُ الْجِزْيَةُ مِنْ أَهْلِ الأَوْثَانِ ٩ / ١٨٣ رقم ١٩١٠٠، حسن إسناده ابن حجر / فتح الباري ٧ / ٣٣٢.

(٢) السِّيرةُ النَّبويَّةُ الصَّحيحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ١ / ٣٠٠.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٧.

هذا العبث، والاستهانة بكل شيء في سبيل الشرف والكرامة [١].

هذا فعلهم، وهذا انفعال المسلم الحسن، دفعًا عن حرمة المرأة المسلمة، ثم كان رد فعلهم تبعًا لفعله، ثم اتسعت دائرة النزاع تبعًا لذلك.

إن كان هذا ما وقع منهم، فهل يتركون دون عقاب أو مواجهة؟، لابد إذن من تأديب من يستحق التأديب، وتقويم ما يستلزم التقويم، رفعًا لمظاهر النزاع، وطلبًا للسلم العام.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي عَاصِمُ بن عُمَرَ بن قَتَادَةَ، قَالَ فَحَاصَرَهُمْ [٢] رَسُولُ اللّهِ ﷺ حَتّى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَقَامَ إلَيْهِ عَبْدُ اللّهِ بن أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ حِينَ أَمْكَنَهُ اللّهُ مِنْهُمْ، فَقَالَ يَا مُحَمّدُ أَحْسِنْ فِي مَوَالِيّ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ، قَالَ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فَقَالَ يَا مُحَمّدُ أَحْسِنْ فِي مُوَالِيّ، قَالَ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ دِرْعِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتَ الْفُضُولِ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَرْسِلْنِي، وَغَضِبَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ حَتّى رَأَوْا لِوَجْهِهِ ظُلَلًا، ثُمّ قَالَ وَيْحَك أَرْسِلْنِي، قَالَ لَا وَاَللّهِ لَا أُرْسِلُك حَتّى تُحْسِنَ فِي مُوَالِيّ، أَرْبَعَ مِئَةِ حَاسِرٍ وَثَلَاثُ مِئَةِ دَارِعٍ، قَدْ مَنَعُونِي مِنْ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، تَحْصُدُهُمْ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ، إنّي وَاَللّهِ امْرُؤٌ أَخْشَى الدّوَائِرَ، قَالَ: فَقَالَ

(١) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ٢ / ٣٩٥.

(٢) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ فِي مُحَاصَرَتِهِ إيّاهُمْ بَشِيرَ بن عَبْدِ الْمُنْذِرِ، وَكَانَتْ مُحَاصَرَتُهُ إيّاهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً / السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٨.

رَسُولُ اللّهِ ﷺ هُمْ لَك [١] [٢].

هذا الحدث كما روته كتب السير، فأين جيوب المقاومة التي قُضي عليها؟ وأين تلك القسوة السياسية التي عانى منها يهود بنو قينقاع؟!!.

لعل ما يخالف هذا الزعم، هو فعل رسول الله ﷺ من تركهم دون عقاب، ووهبهم لمن شفع فيهم من حلفائهم، وهو عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق، وتلك فضيلة يُعرف للنبي ﷺ فيها قدرها، فالعفو والسماحة حُققا فيمن لا يستحق، وعلى يد من لا يستحق أيضاً، فهل بعد هذا يُتقول بقسوة وعداء من قبل الإسلام لأعدائه؟

إن قبح فعلهم – وإن شفع فيه رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول – لم يرضِ حليفاً آخر لهم.

---

(١) قال محمد بن عمر الواقدي: فَلَمّا تَكَلّمَ ابْنُ أُبَيّ فِيهِمْ تَرَكَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ الْقَتْلِ، وَأَمَرَ بِهِمْ أَنْ يُجْلَوْا مِنْ الْمَدِينَةِ، فَجَاءَ ابْنُ أُبَيّ بِحُلَفَائِهِ مَعَهُ، وَقَدْ أَخَذُوا بِالْخُرُوجِ، يُرِيدُ أَنْ يُكَلّمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُقِرّهُمْ فِي دِيَارِهِمْ، فَيَجِدُ عَلَى بَابِ النّبِيّ ﷺ عُوَيْمَ بن سَاعِدَةَ، فَذَهَبَ لِيَدْخُلَ فَرَدّهُ عُوَيْمٌ وَقَالَ: لَا تَدْخُلْ حَتّى يُؤْذِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَك، فَدَفَعَهُ ابْنُ أُبَيّ، فَغَلُظَ عَلَيْهِ عُوَيْمٌ حَتّى جَحَشَ وَجْهَ ابْنِ أُبَيّ الْجِدَارُ فَسَالَ الدّمُ، فَتَصَايَحَ حَلْفَاؤُهُ مِنْ يَهُودَ، فَقَالُوا: أَبَا الْحُبَابِ، لَا نُقِيمُ أَبَدًا بِدَارٍ أَصَابَ وَجْهَك فِيهَا هَذَا، لَا نقدر أن نغيّر، فَجَعَلَ ابْنُ أُبَيّ يَصِيحُ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدّمَ عَنْ وَجْهِهِ، يَقُولُ: وَيْحَكُمْ، قِرّوا! فَجَعَلُوا يَتَصَايَحُونَ: لَا نُقِيمُ أَبَدًا بِدَارٍ أَصَابَ وَجْهَك فِيهَا هَذَا، لَا نَسْتَطِيعُ لَهُ غَيّرًا!... كَانَ مُحَمّدُ بن مَسْلَمَةَ هُوَ الّذِي أَجْلاَهُمْ، وَقَبَضَ أَمْوَالَهُمْ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ سِلَاحِهِمْ ثَلَاثَ قِسِيّ، قَوْسٌ تُدْعَى الْكَتُومَ كُسِرَتْ بِأُحُدٍ، وَقَوْسٌ تُدْعَى الرّوْحَاءَ، وَقَوْسٌ تُدْعَى الْبَيْضَاءَ، وَأَخَذَ دِرْعَيْنِ مِنْ سِلَاحِهِمْ، دِرْعًا يُقَالُ لَهَا الصّغْدِيّةُ، وَأُخْرَى فِضّةُ، وَثَلَاثَةَ أَسْيَافٍ، سَيْفٌ قلعيّ، وسيف يقال له بتّار، وَسَيْفٌ آخَرُ، وَثَلَاثَةَ أَرْمَاحٍ، قَالَ: وَوَجَدُوا فِي حُصُونِهِمْ سِلَاحًا كَثِيرًا وَآلَةً لِلصّيَاغَةِ، وَكَانُوا صَاغَةً / المغازي ١ / ١٧٨ – ١٧٩.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٨، إسناده ضعيف؛ لإرساله.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بن يَسَارٍ عَنْ عُبَادَةَ بن الْوَلِيدِ بن عُبَادَةَ بن الصّامِتِ: قَالَ لَمّا حَارَبَتْ بَنُو قَيْنُقَاعَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، تَشَبّثَ بِأَمْرِهِمْ عَبْدُ اللّهِ بن أُبَيّ ابْنُ سَلُولَ، وَقَامَ دُونَهُمْ، قَالَ: وَمَشَى عُبَادَةُ بن الصّامِتِ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَكَانَ أَحَدَ بَنِي عَوْفٍ لَهُمْ مِنْ حِلْفِهِ مِثْلُ الّذِي لَهُمْ مِنْ عَبْدِ اللّهِ بن أُبَيّ، فَخَلَعَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَتَبَرّأَ إِلَى اللّهِ ﷻ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ حِلْفِهِمْ، وَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ أَتَوَلّى اللّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَأَبْرَأُ مِنْ حِلْفِ هَؤُلَاءِ الْكُفّارِ وَوِلَايَتِهِمْ، قَالَ فَفِيهِ وَفِي عَبْدِ اللّهِ بن أُبَيّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصّةُ مِنْ الْمَائِدَةِ { يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا لَا تَتّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنّهُ مِنْهُمْ إِنّ اللّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ فَتَرَى الّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } [المائدة: ٥١] أَيْ لِعَبْدِ اللّهِ بن أُبَيّ، وَقَوْلُهُ إِنّي أَخْشَى الدّوَائِرَ { يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولُ الّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ } [المائدة: ٥٢] ثُمّ الْقِصّةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: { إِنّمَا وَلِيّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } [المائدة: ٥٥] وَذَكَرَ لِتُوَلّي عُبَادَةَ بن الصّامِتِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالّذِينَ آمَنُوا، وَتَبَرّئِهِ مِنْ بَنِي قَيْنُقَاع { وَمَنْ يَتَوَلّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالّذِينَ آمَنُوا فَإِنّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } [المائدة: ٥٦] (١).

تلك مشاهد الحدث وحيثياته، فكان العقاب بصورة ليس فيها عداء أو قسوة من قبل رسول الله ﷺ تجاههم، وهو إخراجهم من أرض مقامهم المجاورة للمسلمين.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٤٨، إسناده ضعيف؛ لإرساله.

ثم أليس من الصــواب إبعاد [١] الخائن عن موطن خيانته؟ والمســتحق للعقاب عن موطن يمكن أن يكرر فيه عداءه؟ هذا ما حدث، حفظـًا لحرمة المســلم من عداء أعداءه، وحفظـًا للعدو من العقوبة بأقسى من مجرد إجلائه، إن أحدث ما يستلزم ذلك.

قال الشــيخ محمد الغزالي – رحمه الله –: أما كان خيرا لهم أن يؤدوا حقوق الجوار، ويعرفوا قيم العهود، ويبقوا في المدينة آمنين موفورين؟ لقد تعجّلوا الشرّ فباؤوا به[٢].

(١) عند الواقدي بإسناده إلى الرّبيعِ بن سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: إنّي لَبِالفَلْجَتَيْنِ – فَلَجَةٌ بالتحريك، قال نصر: أحسبه موضعا بالشام / معجم البلدان ٤ / ٢٧٢ – مُقْبِلٌ مِنْ الشّامِ، إذْ لَقِيت بَنِي قَيْنُقَاعَ يَحْمِلُونَ الذّرّيّةَ وَالنّسَاءَ، قَدْ حَمَلُوهُمْ عَلَى الْإِبِلِ وَهُمْ يَمْشُونَ، فَسَأَلْتهمْ فَقَالُوا: أَجْلَانَا مُحَمّدٌ وَأَخَذَ أَمْوَالَنَا، قُلْت: فَأَيْنَ تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: الشّامَ، قَالَ سَبْرَةُ: فَلَمّا نَزَلُوا بِوَادِي الْقُرَى أَقَامُوا شَهْرًا، وَحَمَلْت يَهُودُ وَادِي الْقُرَى مَنْ كَانَ رَاجِلًا مِنْهُمْ، وَقَوّوْهُمْ، وَسَارُوا إلَى أَذْرِعَاتٍ فَكَانُوا بِهَا، فَمَا كَانَ أَقَلّ بَقَاءَهُمْ / المغازي ١ / ١٨٠.

(٢) فقه السيرة ص ٢٤٨.

المطلب الثاني

شبهات المستشرقين حول غزوة [١] بَنِي النَّضِيرِ [٢] والرد عليها

وفيه ثلاث شبهات، إليك مضمونها مع الرد عليها.

الشبهة الأولى: الافتراء بأن سبب غزوهم رفضهم الإسلام وغناهم المادي:

وتتضح في موقف المستشرق مونتجومري وات [٣] من سبب إجلاء يهود بني النضير من المدينة: حيث حدد أسبابًا لذلك كما يلي:

السبب الأول: نضال اليهود الفكري ضد الإسلام:

يقول وات: " فقد ظهر اليهود خلال السنتين اللتين قضاهما محمد في المدينة، على أنهم أخطر معارضيه، بإنكارهم عليه نبوته، وبهذا كان حماس أتباعه الديني – وكان هذا

---

(١) عند ابن هشام: فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ، قال ابن القيم – رحمه الله –: وزعم محمد بن شهاب الزهري أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهم منه أو غلط عليه، بل الذي لا شك فيه أنها كانت بعد أحد، والتي كان بعد بدر بستة أشهر: هي غزوة بني قينقاع / السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٩٠، زاد المعاد في هدي خير العباد ٣ / ٢٢١.

(٢) عَنْ سَعِيدِ بن جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ سُورَةُ التَّوْبَةِ، قَالَ التَّوْبَةُ هِيَ الْفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنْزِلُ وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا، قَالَ قُلْتُ سُورَةُ الْأَنْفَالِ، قَالَ نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ، قَالَ قُلْتُ سُورَةُ الْحَشْرِ، قَالَ نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ/ صحيح البخاري – كتاب التفسير – باب تفسير سورة الحشر ٤ / ١٨٥٢ رقم ٤٦٠٠.

(٣) مونتجومري وات – Watt، Montgomery، (١٩٠٩ – ٢٠٠٦) عميد قسم الدراسات العربية في جامعة ادنبرا، آثاره: عوامل انتشار الإسلام، ومحمد في مكة، والإسلام والجماعة الموحدة، وهو دراسة فلسفية اجتماعية لرد أصل الوحدة العربية إلى الإسلام، رسالة الإسلام في العالم المعاصر، محمد في المدينة/ المستشرقون ٢ / ٥٥٤، مقدمة كتاب محمد في مكة.

عنصرا مهما – معرضا للفتور، إذا لم يقض على المعارضة اليهودية بالسكوت أو العجز...، حتى إذا ما أصبحت الظروف مواتية – أي حين بلغت زعامته الذروة، وزعامة ابن أُبَيّ الحضيض، وسنحت الفرصة لبدء الحرب – قام محمد بذلك " [١].

السبب الثاني: أموال اليهود:

يقول وات: " القول بأن محمداً – ﷺ – كان يجهل غنى اليهود تقليل من شأن ذكائه، ولكن الاعتقاد بأن هذا الغنى كان السبب الوحيد لهجمات محمد ضد اليهود وهو اتخاذ موقف مادي لا مبرر له، ولا شك أن غنى اليهود كان بدون شك عونا كبيرا لمحمد، وحسّن كثيرا من وضعه المادي " [٢].

ويتفق معه المستشرق ألفريد جيوم في السببين، فيرى: بأن الرسول – ﷺ – قد شن سلسلة من العمليات على اليهود بهدف إجلائهم، عن الحجاز، محددا لذلك سببين:

أولهما: عدم اعترافهم به كرسول في مجادلاتهم ومهاتراتهم.

ثانيهما: قوتهم الاقتصادية والتي كانت مصدر ضيق شديد له [٣].

الرد على السبب الأول في الشبهة المثارة:

قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة داعيًا إلى هذا الدين الحنيف، الذي بعث به للناس كافة، والذي من أحكامه وآدابه الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم من أحكامه أنه سِلْمٌ لمن سالمه، وحَرْبٌ لمن حاربه، ومن أحكامه أنه لا يكره أحداً على الدخول فيه، ومن ثم لم يعتدِ على غير المسلمين – من أهل الكتاب – الذي لم يعتدوا عليه، وإنما عقد العهود

(١) محمد في المدينة ص ٣٣١.

(٢) محمد في المدينة ص٣٣٢.

(٣) الإسلام ص ٤٣.

والمواثيق مع اليهود من سكان المدينة.

نعم عارض كثير منهم هذا الدين، وعرض بعضهم بعض الإشكالات، التي لم يتأثر بها سلبيًا أتباعه – كما يلمح المستشرق إلى ذلك –؛ لأن الغلبة فيها كانت لهذا الدين الحنيف.

أخرج البخاري بإسناده إلى أَنَسٌ رضي الله عنه: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بن سَلَامٍ بَلَغَهُ مَقْدَمُ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: أَخْبَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ آنِفًا قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ: أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ، وَأَمَّا الْوَلَدُ: فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الْوَلَدَ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ (١)، فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ بن سَلَامٍ فِيكُمْ قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بن سَلَامٍ قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَتَنَقَّصُوهُ، قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ " (٢).

(١) البُهْتُ والبَهِيتَةُ: الكَذِبُ / لسان العرب ٢ / ١٣.

(٢) صحيح البخاري – كِتَابُ الْمَنَاقِبِ – باب ٥ / ٦٩ رقم ٣٩٣٨.

هكذا يسأل [١] سيد من سادات اليهود، فلما يجاب بما يتفق والصواب، يصدق مع نفسه، ومن ثم يهتدي إلى الإسلام.

المحاورة وعرض المشكِلات والشبهات لها تعامل، وأما المحاربة والغدر والخيانة فلكل ذلك تعامل آخر، يتناسب مع الجرم المقترف.

أخرج مسلم بإسناده إلى ابْنِ عُمَرَ ﷺ: أَنَّ يَهُودَ بَنِى النَّضِيرِ وَقُرَيْظَةَ حَارَبُوا رَسُولَ اللّه ﷺ، فَأَجْلَى رَسُولُ اللّه ﷺ بَنِى النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلاَّ أَنَّ بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِرَسُولِ اللّه ﷺ فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى رَسُولُ اللّه ﷺ يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ بَنِى قَيْنُقَاعَ - وَهُمْ قَوْمُ عَبْدِ اللّه بن سَلاَمٍ - وَيَهُودَ بَنِى حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِي كَانَ بِالْمَدِينَةِ [٢].

حاورهم رسول الله ﷺ، ورد عليهم إشكالاتهم، وإن كان موطن الإشكال عدم الاعتراف بنبوته ﷺ، فلا إشكال أصلاً؛ إذ الإسلام لا يجبر أحداً على الدخول تحت ظلاله، فكيف ينشأ حربًا لذلك؟!!، ومن ثم فلم تكن هذه الإشكالات – التي أجيب عنها – سببًا لإجلاء من أُجْلِيَ منهم عن المدينة – كما يدعى المستشرق – وإنما كان للإجلاء أسبابه المقبولة.

---

(١) وكسؤالهم عن الروح، فعند البخاري بإسناده إلى عَبْدِ اللهِ بسم الله الرحمن الرحيم ، قَالَ: " بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ فَقَالَ: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ، قَالَ: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا } " / صحيح البخاري - كِتَابُ التَّفْسِيرِ - باب وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ٦ / ٨٧ رقم ٤٧٢١.

(٢) صحيح مسلم – كتاب الجهاد والسير - باب إِجْلاَءِ الْيَهُودِ مِنَ الْحِجَازِ ٥ / ١٥٩ رقم ٤٦٩١.

الرد على السبب الثاني في الشبهة المثارة:

يقال: لو كان الأمر على هذا النحو، لهُوجِمَ اليهود منذ الوهلة الأولى لدخول النبي ﷺ المدينة، طالما الدافع المادي هو أحد أسباب العداء عليهم – بحسب الادعاء –، وأي داعٍ لعقد المواثيق معهم؟

إن الإسلام لا يعتدى على معارضيه لأجل المال، هذا يخالف أحكامه وآدابه، ولعل هذا ما تظهره الأسباب المقبولة في إجلائهم، وكذا مضمون هذا الإجلاء من السماح لهم بأخذ ما تحمله إبلهم من أمتعه ما خلا أداة الحرب.

الشبهة الثانية: التقول بأن إجلاءهم بسبب مساعدتهم بأقل مما طلب منهم:

يقول المستشرق مونتجمرى وات " ولربما فكر محمد بأن على اليهود بأن يدفعوا أكثر في دية القتيلين من بنى عامر، مما يدفعه متوسط سكان المدينة، وراق لليهود أن يدفعوا أقل "[1].

الرد:

هذا تجنٍ واضح من المستشرق؛ إذ لا مجال لفرض الاحتمالات في هذه المواقف وأمثالها، ولا مكان لادعاء خلاف ما نُقل من الوقائع، إن ما ادعاه المستشرق – من بنات أفكاره –، لا يستلزم إجلاء وإخراجًا؛ بل يضمن لهم سلامتهم، وعذرهم – إن وقع بحسب الادعاء – مقبول؛ إذ لم يتيسر لهم إلا ذلك القليل، فكيف يجلوا عن موطنهم، وقد بذلوا ما طلب منهم، وإن كان بصورة أقل من المطلوب؟.

(١) محمد في المدينة ص٣٢٢.

الشبهة الثالثة: الزعم بأنهم غُزو رغم أن خيانتهم مشكوك فيها:

يقول المستشرق ألفريد جيوم: " وبعد قليل أصبح بنو النضير مشكوكًا في خيانتهم "[١].

الرد:

الأولى أن يقال: أنه بعد قليل من الزمن، وضحت الخيانة ومخابرها، التي شُهِرت في الشخصية اليهودية أفراداً وجماعات، فإذا بهم ينقضون عهدهم مع رسول الله ﷺ، ويحتالون في العداء عليه، فلم يكن هناك بد من معاقبتهم، فكان إجلاؤهم تبعًا لخيانتهم المحققة، وليس المشكوك فيها، كما زعم المستشرق.

أسباب إجلاء يهود بني النضير:

وفيها تظهر بوضوح الأسباب المقبولة والمعقولة في إجلائهم، وليس ما ادُّعِيَ مما يخالف المشهور والثابت.

ذكرت الروايات أن هناك سببان في إجلائهم، كما يلى:

السبب الأول: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللّه ﷺ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، لِلْجِوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللّه ﷺ عَقَدَ لَهُمَا، كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بن رُومَانَ، وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ عَقْدٌ وَحِلْفٌ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللّه ﷺ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ، قَالُوا نَعَمْ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ، نُعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتُ، مِمَّا اسْتَعَنْتُ بِنَا عَلَيْهِ، ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ- وَرَسُولُ اللّه ﷺ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ قَاعِدٌ- فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً، فَيُرِيحُنَا مِنْهُ؟ فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ عَمْرُو بن جَحَّاشِ بن كَعْبٍ، أَحَدَهُمْ، فَقَالَ: أَنَا لِذَلِكَ، فَصَعِدَ لِيُلْقِيَ عَلَيْهِ صَخْرَةً كَمَا قَالَ،

(١) الإسلام ص ٤٦.

وَرَسُــولُ اللّه ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْــحَابِهِ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ رضي الله عنهم [١]، فَأَتَى رَسُولَ اللّه ﷺ الْخَبَرُ مِنْ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعًا إلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا اسْتَلْبَثَ النَّبِيَّ ﷺ أَصْــحَابُهُ، قَامُوا فِي طَلَبِهِ، فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنْ الْمَدِينَةِ، فَسَــأَلُوهُ عَنْهُ، فَقَالَ: رَأَيْتُهُ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ، فَأَقْبَلَ أَصْــحَابُ رَسُــولِ اللّه ﷺ، حَتَّى انْتَهَوْا إلَيْهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُمْ الْخَبَرَ، بِمَا كَانَتْ الْيَهُودُ أَرَادَتْ مِنْ الْغَدْرِ بِهِ، وَأَمَرَ رَسُــولُ اللّه ﷺ بِالتَّهَيُّؤِ لِحَرْبِهِمْ، وَالسَّــيْرِ إلَيْهِمْ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمَّ سَارَ بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، فَحَاصَرَهُمْ سِتَّ لَيَالٍ [٢].

واضــح في الرواية أن ســبب إجلائهم، هو محاولتهم الغدر برســول الله ﷺ، ونقضــهم العهد والميثاق معه بالأمان.

السبب الثاني: وقد جاء بإسناد متصل صحيح، وهو ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بإسناده إلى الزُّهْرِيِّ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي[٣] عَبْدُ اللّه بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن كَعْبِ بن مَالِكٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْــحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: " أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إلَى عَبْدِ اللّه بن أُبَيٍّ ابْنِ السَّــلُولِ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْأَوْثَانَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، وَرَسُــولُ اللّه ﷺ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ، قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ يَقُولُونَ: إنَّكُمْ آوَيْتُمْ صَــاحِبَنَا، وَإِنَّكُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَدَدًا، وَإِنَّا نُقْسِــمُ بِ اللّه لَتَقْتُلُنَّهُ، أَوْ لَتُخْرِجُنَّهُ، أَوْ لِنَسْتَعِنْ عَلَيْكُمُ الْعَرَبَ، ثُمَّ لَنَسِيرَنَّ إلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى نَقْتُلَ مُقَاتِلَتَكُمْ، وَنَسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ أُبَيٍّ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ تَرَاسَــلُوا فَاجْتَمَعُوا، وَأَرْسَــلُوا، وَأَجْمَعُوا

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٨٩.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٩٠.

(٣) سمع الزهري من عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب وسمع الزهري أيضـًا من أبيه عبد الرحمن / تاريخ يحيى بن معين ١ / ٢٢.

لِقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَقِيَهُمْ فِي جَمَاعَةٍ فَقَالَ: " لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمُ الْمَبَالِغَ، مَا كَانَتْ لِتَكِيدَكُمْ بِأَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، فَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُرِيدُونَ أَنْ تَقْتُلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ " فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ تَفَرَّقُوا، فَبَلَغَ ذَلِكَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، وَكَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ فَكَتَبَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ إِلَى الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ - وَهُوَ الْخَلَاخِلُ - فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ الْيَهُودَ أَجْمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ عَلَى الْغَدْرِ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلْنَخْرُجْ فِي ثَلَاثِينَ حَبْرًا حَتَّى نَلْتَقِي فِي مَكَانِ كَذَا نَصْفٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَيَسْمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَآمَنُوا بِكَ، آمَنَّا كُلُّنَا، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ حَبْرًا مِنَ الْيَهُودِ حَتَّى إِذَا بَرَزُوا فِي بِرَازٍ[1] مِنَ الْأَرْضِ، قَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ لِبَعْضٍ: كَيْفَ تَخْلُصُونَ إِلَيْهِ، وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ كُلُّهُمْ يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ قَبْلَهُ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ: كَيْفَ تَفْهَمُ وَنَفْهَمُ وَنَحْنُ سِتُّونَ رَجُلًا؟ اخْرُجْ فِي ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِكَ، وَيَخْرُجُ إِلَيْكَ ثَلَاثَةٌ مِنْ عُلَمَائِنَا، فَلْيَسْمَعُوا مِنْكَ، فَإِنْ آمَنُوا بِكَ آمَنَّا كُلُّنَا، وَصَدَّقْنَاكَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَاسْتَمَلُوا عَلَى الْخَنَاجِرِ، وَأَرَادُوا الْفَتْكَ بِرَسُولِ اللّه ﷺ، فَأَرْسَلَتِ امْرَأَةٌ نَاصِحَةٌ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إِلَى بَنِي أَخِيهَا، وَهُوَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَخْبَرَتْهُ خَبَرَ مَا أَرَادَتْ بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْغَدْرِ بِرَسُولِ اللّه ﷺ، فَأَقْبَلَ أَخُوهَا سَرِيعًا، حَتَّى أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَارَّهُ بِخَبَرِهِمْ، قَبْلَ أَنْ يَصِلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللّه ﷺ بِالْكَتَائِبِ فَحَاصَرَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: " إِنَّكُمْ لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيْهِ "، فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ هُوَ وَالْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ غَدَا الْغَدُ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْخَيْلِ وَالْكَتَائِبِ، وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ وَدَعَاهُمْ إِلَى

(١) البَرازُ: بِالْفَتْحِ، الْفَضَاءُ الْوَاسِعُ / لسان العرب ٥ / ٣٠٩.

أَنْ يُعَاهِدُوهُ، فَعَاهَدُوهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ وَغَدَا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ، وَعَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ إِلَّا الْحَلْقَةَ، وَالْحَلْقَةُ: السِّلَاحُ، فَجَاءَتْ بَنُو النَّضِيرِ وَاحْتَمَلُوا مَا أَقَلَّتْ إِبِلُهم مِنْ أَمْتِعَتِهِمْ وَأَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ وَخَشَبِهَا، فَكَانُوا يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ، فَيَهْدِمُونَهَا فَيَحْمِلُونَ مَا وَافَقَهُمْ مِنْ خَشَبِهَا، وَكَانَ جَلَاؤُهُمْ ذَلِكَ أَوَّلَ حَشْرِ[1] النَّاسِ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ بَنُو النَّضِيرِ مِنْ سِبْطٍ مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَمْ يُصِبْهُمْ جَلَاءٌ مُنْذُ كَتَبَ اللهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْجَلَاءَ، فَلِذَلِكَ أَجْلَاهُمْ رَسُولُ اللّه ﷺ، فَلَوْلَا مَا كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجَلَاءِ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا كَمَا عُذِّبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: { سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [الحشر: ١] حَتَّى بَلَغَ { وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ }، وَكَانَتْ نَخْلُ بَنِي النَّضِيرِ لِرَسُولِ اللّه ﷺ خَاصَّةً فَأَعْطَاهَا اللهُ إِيَّاهَا وَخَصَّهُ بِهَا، فَقَالَ: { مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ } [الحشر: ٦] يَقُولُ: بِغَيْرِ قِتَالٍ، قَالَ: فَأَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَهَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَقَسَمَهَا بَيْنَهُمْ، وَلِرَجُلَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَا ذَوِي حَاجَةٍ، لَمْ يَقْسِمْ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ غَيْرِهِمَا، وَبَقِيَ مِنْهَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللّه ﷺ فِي يَدِ بَنِي فَاطِمَةَ "[2].

---

(١) أخرج البزار بإسناده إلى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: مَنْ شَكَّ أَنَّ الْمَحْشَرَ بِالشَّامِ فَلْيَقْرَأْ آخِرَ سُورَةَ الْحَشْرِ: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ } [الحشر: ٢]، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " فِهِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ، يَعْنِي: الشَّامَ " / كشف الأستار عن زوائد البزار ٤ / ١٥٤ رقم ٣٤٢٦، وفي المجمع: رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَفِيهِ أَبُو سَعْدٍ الْبَقَّالُ، وَالْغَالِبُ عَلَيْهِ الضَّعْفُ / مجمع الزوائد ١٠ / ٣٤٣ رقم ١٨٣٥٥.

(٢) مصنف عبد الرزاق – كتاب المغازي – وقعة بني النضير ٥ / ٣٥٨ رقم ٩٧٣٣، قال ابن حجر: وروى ابن مردويه قصة بني النضير بإسناد صحيح إلى معمر عن الزهري أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ / فتح الباري ٧ / ٣٣١ رقم ٣٨٠٢، قلت: وهو هذا الإسناد عند عبد الرزاق.

يظهر هنا أن سبب إجلائهم هو خضوعهم لتهديد كفار قريش لهم أن يقاتلوهم إن لم يقاتلوا رسول الله ﷺ، ومن ثم أرادوا الغدر به ﷺ.

قال ابن حجر – رحمه الله –: فَهَذَا أَقْوَى [١] مِمَّا ذكر ابن إِسْحَاقَ مِنْ أَنَّ سَبَبَ غَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ طَلَبُهُ ﷺ أَنْ يُعِينُوهُ فِي دِيَةِ الرجلَيْن، لَكِن وَافق ابن إِسْحَاقَ جُلُّ أَهْلِ الْمَغَازِي، فَاللهُ أَعْلَمُ، وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ سَبَبَ إِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ مَا ذُكِرَ مِنْ هَمِّهِمْ بِالْغَدْرِ بِهِ ﷺ، وَهُوَ إِنَّمَا وَقَعَ عِنْدَمَا جَاءَ إِلَيْهِمْ لِيَسْتَعِينَ بِهِمْ فِي دِيَةِ قَتِيلَيْ عَمْرِو بن أُمَيَّة، تعين مَا قَالَ ابن إِسْحَاقَ؛ لِأَنَّ بِئْرَ مَعُونَةَ كَانَتْ بَعْدَ أُحُدٍ بِالِاتِّفَاقِ [٢].

الرَّسُول ﷺ يحاصر يهود بني النضير:

لابد من البيان أن ما حمل يهود بني النضير على عدم الاستسلام أولاً – إضافة إلى ظنهم منعة حصونهم – هو تحريض رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول – في رهط سوء اتفقوا معه على ذلك – على الثبات، ووعدهم لهم بإعانتهم على القتال إن كان ثمت قتال، أو الخروج معهم إن كان ثمت خروج.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ مِنْ بَنِي عَوْفِ بن الْخَزْرَجِ، مِنْهُمْ (عَدُوُّ اللّه) عَبْدُ اللّه بن أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ ووَدِيعَةُ وَمَالِكُ بن أَبِي قَوْقَلٍ، وَسُوَيْدُ وَدَاعِسٌ، قَدْ بَعَثُوا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ: أَنْ اُثْبُتُوا وَتَمَنَّعُوا، فَإِنَّا لَنْ نُسَلِّمَكُمْ، إِنْ قُوتِلْتُمْ قَاتَلْنَا مَعَكُمْ، وَإِنْ أُخْرِجْتُمْ خَرَجْنَا مَعَكُمْ، فَتَرَبَّصُوا ذَلِكَ مِنْ نَصْرِهِمْ، فَلَمْ يَفْعَلُوا [٣].

أخرج ابن جرير بإسناده إلى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَوْلُهُ: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا }

(١) قلت: لا بأس بتعدد أسباب غزو بني النضير، مع ثبوت بعض تلك الأسباب وضعف بعضها.

(٢) فتح الباري ٧ / ٣٣٢ رقم ٣٨٠٢.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٩١.

[الحشر: ١١] يَعْنِي عَبْدَ اللّه بن أُبَيٍّ بن سَلُولٍ وَأَصْحَابَهُ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ عَلَى مِثْلِ أَمْرِهِمْ(١).

هكذا كان موقفهم، ومن ثم كان حصارهم هو الدافع لهم على الاستسلام.

أخرج الترمذي بإسناده إلى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فِي قَوْلِ اللّه: { مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ (٢) أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا } [الحشر: ٥] قَالَ: " اللِّينَةُ النَّخْلَةُ "، وَلِيُخْزِيَ الفَاسِقِينَ، قَالَ: " اسْتَنْزَلُوهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ "، قَالَ: " أُمِرُوا بِقَطْعِ النَّخْلِ فَحَكَّ فِي صُدُورِهِمْ، فَقَالَ المُسْلِمُونَ: قَدْ قَطَعْنَا بَعْضًا وَتَرَكْنَا بَعْضًا، فَلَنَسْأَلَنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ هَلْ لَنَا فِيمَا قَطَعْنَا مِنْ أَجْرٍ؟ وَهَلْ عَلَيْنَا فِيمَا تَرَكْنَا مِنْ وِزْرٍ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: { مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا } [الحشر: ٥] (٣).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ فِي الْحُصُونِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللّه ﷺ بِقَطْعِ النَّخِيلِ وَالتَّحْرِيقِ فِيهَا، فَنَادَوْهُ: أَنْ يَا مُحَمَّدُ، قَدْ كُنْتَ تَنْهَى عَنْ الْفَسَادِ، وَتَعِيبُهُ عَلَى مَنْ صَنَعَهُ، فَمَا بَالُ قَطْعِ النَّخْلِ وَتَحْرِيقِهَا؟ (٤).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ٥٣٦، إسناده ضعيف؛ فيه: محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت مدني مجهول / تقريب ٢ / ١٣٠.

(٢) اللِّينَةُ: أَلْوَانُ التَّمْرِ مَا عَدَا الْعَجْوَةَ وَالْبَرْنِيّ، فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنّ النّبِيّ ﷺ لَمْ يُحَرّقْ مِنْ نَخْلِهِمْ إلّا مَا لَيْسَ بِقُوتٍ لِلنّاسِ، وَكَانُوا يَقْتَاتُونَ الْعَجْوَةَ / الروض الأنف ٦ / ١٥٩.

(٣) سنن الترمذي – كتاب التفسير – باب ومن سورة الحشر ٥ / ٤٠٨ رقم ٣٣٠٣، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٩١.

أجاب عن هذا أبو جعفر الطحاوي[١] – رحمه الله – قائلاً: فَعَقَلْنَا بِذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَنْزَلَهَا اللهُ ﷻ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِيَعْلَمَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ أَنَّ الَّذِي كَانَ مِنْ قَطْعِهِمْ لَمَّا قَطَعُوا مِنْ نَخْلِ بَنِي النَّضِيرِ وَتَحْرِيقِهَا مُبَاحٌ لَهُمْ، لَا إِثْمَ عَلَيْهِمْ فِيهِ، وَأَنَّ الَّذِي تَرَكُوهُ مِنْهَا فَلَمْ يَقْطَعُوهُ وَلَمْ يُحَرِّقُوهُ مُبَاحٌ لَهُمْ، لَا إِثْمَ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَبَانَ بِذَلِكَ مَوْضِعُ الْفَائِدَةِ فِي نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ [٢].

أخرج مسلم بإسناده إلى ابْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ قَطَعَ نَخْلَ بَنِى النَّضِيرِ وَحَرَّقَ، وَلَهَا يَقُولُ حَسَّانُ رضي الله عنه: وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِى لُؤَىٍّ.... حَرِيقٌ بِالْبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ[٣]، وَفِي ذَلِكَ نَزَلَتْ { مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا } الآيَةَ [الحشر: ٥] [٤].

قال الخطابي[٥] – رحمه الله –: واختلف العلماء في تأويل ما فعل رسول الله ﷺ من ذلك، فقال بعضهم إنما أمر بقطع النخيل؛ لأنه كان مقابل القوم فأمر بقطعها ليتسع المكان له، وكره

(١) العلامة، الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري، الطحاوي، صاحب التصانيف من أهل قرية طحا من أعمال مصر، مولده: في سنة تسع وثلاثين ومائتين، مات سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة / سير أعلام النبلاء ١٥ / ٢٧ – ٢٩ ترجمة ١٥.

(٢) شرح مشكل الآثار ٣ / ١٤٣ رقم ١١١١.

(٣) أي مشتعل، وإنما قال حسان ذلك تعييرا لقريش؛ لأنهم كانوا أغروهم بنقض العهد وأمروهم به، ووعدوهم أن ينصروهم إن قصدهم النبي ﷺ / فتح الباري ٧ / ٣٣٣.

(٤) صحيح مسلم – كتاب الجهاد والسير – باب جَوَازِ قَطْعِ أَشْجَارِ الْكُفَّارِ وَتَحْرِيقِهَا ٥ / ١٤٥ رقم ٤٦٥١.

(٥) الإمام، العلامة، الحافظ، اللغوي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، الخطابي، صاحب التصانيف، ولد: سنة بضع عشرة وثلاث مائة، وفاته: سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة / سير أعلام النبلاء ١٧ / ٢٣ – ٢٧ ترجمة ١٢.

هذا القائل قطع الشجر واحتج بنهي [١] أبي بكر عن ذلك، وإلى هذا المعنى ذهب الأوزاعي، وقال الأوزاعي لا بأس بقطع الشجر وتحريقها في بلاد المشركين وبهدم دورهم، وكذلك قال مالك، وقال أصحاب الرأي لا بأس به، وكذاك قال إسحاق، وكره أحمد تخريب العامر إلاّ من حاجة إلى ذلك، قال الشافعي ولعل أبا بكر إنما أمرهم أن يكفوا عن أن يقطعوا شجراً مثمراً؛ لأنه سمع النبي ﷺ يخبر أن بلاد الشام يفتح على المسلمين، فأراد بقاءها عليهم [٢].

أثمر حصار يهود بني النضير عن استسلامهم، وسؤالهم بعدُ الخروج عن أرضهم، فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك، ولهم ما تحمله إبلهم إلا عدة الحرب.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ الرُّعْبَ، وَسَأَلُوا [٣] رَسُولَ اللّه ﷺ أَنْ يُجْلِيَهُمْ وَيَكُفَّ عَنْ دِمَائِهِمْ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا حَمَلَتْ الْإِبِلُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا الْحَلْقَةَ، فَفَعَلَ، فَاحْتَمَلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ الْإِبِلُ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَهْدِمُ بَيْتَهُ عَنْ نِجَافِ [٤] بَابِهِ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ فَيَنْطَلِقُ بِهِ، فَخَرَجُوا [٥] إِلَى خَيْبَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَارَ إِلَى الشَّامِ [٦].

---

(١) مَا فِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ هَذَا غَيْرُ مُخَالِفٍ لِذَلِكَ ; لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عَوْدِ الشَّامِ إِلَى أَيْدِيهِمْ وَمِنْ فَتْحِهِمْ لَهَا وَمِنْ غَلَبَتِهِمُ الرُّومَ عَلَيْهَا بِمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُمْ إِيَّاهُ مِنْ ذَلِكَ / شرح مشكل الآثار ٣ / ١٤٣ رقم ١١١١.

(٢) معالم السنن ٢ / ٢٦٤.

(٣) لَمْ يُسْلِمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إِلَّا رَجُلَانِ: يَامِينُ بن عُمَيْرٍ، أَبُو كَعْبِ بن عَمْرِو ابْن جِحَاشٍ، وَأَبُو سَعْدِ بن وَهْبٍ، أَسْلَمَا عَلَى أَمْوَالِهِمَا فَأَحْرَزَاهَا / السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٩٢.

(٤) النِّجَاف الَّذِي يُقَالُ لَهُ الدَّوَّارَةُ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَقْبِلُ الْبَابَ مِنْ أَعلى الأُسْكُفَّةِ، والنِّجَافُ العَتبة، وَهِيَ أُسْكُفَّة الْبَابِ / لسان العرب ٩ / ٣٢٣.

(٥) فَكَانَ أَشْرَافُهُمْ مَنْ سَارَ مِنْهُمْ إِلَى خَيْبَرَ: سَلَّامُ بن أَبِي الْحَقِيقِ، وَكِنَانَةُ بن الرَّبِيعِ بن أَبِي الْحَقِيقِ، وَحُيَيُّ بن أَخْطَبَ / السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٩١.

(٦) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٩١.

وأما عن حالهم وقت خروجهم وفرحهم بما مُنَّ به عليهم، فيظهره قول ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللّه بن أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ حُدِّثَ: أَنَّهُمْ اسْتَقَلُّوا بِالنِّسَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْأَمْوَالِ، مَعَهُمْ الدُّفُوفُ وَالْمَزَامِيرُ، وَالْقِيَانُ يَعْزِفْنَ خَلْفَهُمْ، وَإِنَّ فِيهِمْ لِأُمِّ عَمْرٍو صَاحِبَةَ عُرْوَةَ بن الْوَرْدِ الْعَبْسِيِّ، الَّتِي ابْتَاعُوا مِنْهُ، وَكَانَتْ إحْدَى نِسَاءِ بَنِي غِفَارٍ، بِزُهَاءِ وَفَخْرٍ مَا رُئِيَ مِثْلُهُ مِنْ حَيٍّ مِنْ النَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ [١].

على هذا النحو كان إخراجهم، وما بقي من ذلك [٢] كان مما أفاء الله على رسوله ﷺ منهم دون قتال، فاختلفت قسمته عن الغنائم.

أخرج البخاري بإسناده إلى عُمَرَ ﷺ، قَالَ: كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِمَّا لَمْ يُوجِفْ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ، فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللّه ﷺ خَاصَّةً، يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِ، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ [٣] عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللّه [٤].

قال الطبري – رحمه الله تعالى –: فكانت بنو النضير للنبيّ ﷺ خالصة لم يفتحوها عنوة، بل على صلح [٥].

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٩١، إسناده ضعيف؛ لجهالة من حدث شيخ ابن إسحاق.

(٢) قبض رَسُول اللهِ ﷺ الأموال والحلقة، فوجد مِن الحلقة خمسين درعا، وخمسين بيضة، وثلاثمائة سيف وأربعين سيفا / الطبقات الكبرى ٢ / ٤٥.

(٣) الكُراعُ: السلاحُ، وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ يَجْمَعُ الْخَيْلَ وَالسِّلَاحَ / لسان العرب ٨ / ٣٠٧.

(٤) صحيح البخاري – كتاب التفسير – باب قوله {وما أفاء الله على رسوله} ٤ / ١٨٥٢ رقم ٤٦٠٣.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ٢٧٤.

قال السهيلي [١] – رحمه الله تعالى –: وَلَمْ يَخْتَلِفُوا أَنّ سُورَةَ الْحَشْرِ نَزَلَتْ فِي بَنِي النّضِيرِ، وَلَا اخْتَلَفُوا فِي أَمْوَالِهِمْ؛ لِأَنّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُوجِفُوا عَلَيْهَا بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ، وَإِنّمَا قُذِفَ الرّعْبُ فِي قُلُوبِهِمْ وَجَلَوْا عَنْ مَنَازِلِهِمْ إلَى خَيْبَرَ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ قِتَالٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ، فَقَسَمَهَا النّبِيّ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ، لِيَرْفَعَ بِذَلِكَ مُؤْنَتَهُمْ عَنْ الْأَنْصَارِ، إذْ كَانُوا قَدْ سَاهَمُوهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالدّيَارِ، غَيْرَ أَنّهُ أَعْطَى أَبَا دُجَانَةَ وَسَهْلَ بن حُنَيْفٍ لِحَاجَتِهِمَا [٢].

أدى إجلاء بني النضير إلى كسر شوكة اليهود والمنافقين في المدينة، حيث جددت قريظة المعاهدة مع المسلمين خلال حصار بني النضير، وأظهرت رغبتها في المحافظة على العهد، حتى كانت غزوة الأحزاب [٣].

تلك بإيجاز أحداث غزوة بني النضير، وفيها الرد البين على الشبهات المدعاة حولها، كما أن فيها العذر للمسلمين في إخراجهم من ديارهم، مع ما في ذلك من صورة الرفق بهم، وعدم العداء على دمائهم.

---

(١) عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله ابن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن، السهيلي الإمام المشهور صاحب كتاب " الروض الأنف " في شرح سيرة رسول الله ﷺ، مولده سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقة، وتوفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة / وفيات الأعيان ٣ / ١٤٣ – ١٤٤.

(٢) الروض الأنف ٦ / ٢٢٣.

(٣) السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ – المؤلف: د. أكرم ضياء العمري ١ / ٣١١.

المطلب الثالث

شبهات المستشرقين حول غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ [١] والرد عليها

وفيه خمس شبهات، إليك مضمونها مقرونًا بالرد عليها.

الشبهة الأولى: الادعاء بمهاجمة بني قريظة رغم غموض سلوكهم:

يقول المستشرق كارل بروكلمان [٢]: هاجم المسلمون بني قريظة، الذين كان سلوكهم غامضًا على أي حال، فاستسلموا بعد حصار دام أسبوعين [٣].

الرد:

يقال: هذا قلب للحقائق، وتكذيب للواقع؛ إذ أن سلوكهم كان واضحًا على أظهر صور الوضوح، وهو مناصرتهم للأحزاب، والاتفاق معهم على العداء على رسول الله ﷺ وأصحابه، وإنما فعلوا ذلك، وخانوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، بعدما مناهم حيي بن أخطب الأماني، فكانوا بحق أداة فزع، ومعول هدم، وسيفًا مصلتًا، ولو أمكنهم الواقع من النبي ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم، ما تأخروا عن العداء عليهم والفتك بهم.

وبهذا يجاب أيضًا على المستشرق وليام مونتغمري وات في قوله: إن هناك مؤامرات دارت حول قريظة، ويبدو أنهما عقدت معاهدة مع محمد - ﷺ- وإن لم يتضح ما إذا كان

---

(١) سَارَ إِلَيْهِمْ النَّبِيّ ﷺ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ فَحَاصَرَهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، ثُمّ انْصَرَفَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحَجّةِ سَنَةَ خَمْسٍ / المغازي ١ / ٤٩٧.

(٢) كارل بروكلمان - Brockelmmann، G، (١٨٦٨ - ١٩٥٦)، ولد في روستوك، وتخرج باللغات السامية على أعلام المستشرقين ومنهم نولدكه، آثاره: تاريخ الآداب العربية، وتاريخ الشعوب والدول الإسلامية، نقله إلى العربية الدكتور نبيه فارس والأستاذ منير البعلبكي / المستشرقون ٢ / ٧٧٧ - ٧٨٢.

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٢٦.

عليها أن تساعد عند وقوع هجوم على المدينة أم أن تبقى على الحياد [١].

قلت: سيتضح في سياق الأحداث أن يهود بنى قريظة، لم يلتزموا كلا الخيارين – الدفاع عن المدينة أو البقاء على الحياد –، وإنما خانوا العهد ونقضوا الميثاق، وشاركوا الأحزاب في قصد التعدي على رسول الله ﷺ وأصحابه.

وأما الدليل على خيانتهم لعهدهم مع رسول الله ﷺ، فقد نُصَّ عليه في كتب السير، وصحت الإشارة إليه في كتب السنن.

قَالَ ابن إسحاق: وَخَرَجَ عَدُوُّ اللّه حُيَيُّ بن أَخْطَبَ النَّضْرِيُّ، حَتَّى أَتَى كَعْبَ بن أَسَدٍ الْقُرَظِيَّ، صَاحِبَ عَقْدِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَعَهْدِهِمْ، وَكَانَ قَدْ وَادَعَ رَسُولَ اللّه ﷺ عَلَى قَوْمِهِ، وَعَاقَدَهُ عَلَى ذَلِكَ وَعَاهَدَهُ، فَلَمَّا سَمِعَ كَعْبٌ بِحُيَيٍّ بن أَخْطَبَ أَغْلَقَ دُونَهُ بَابَ حِصْنِهِ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ، فَنَادَاهُ حُيَيٌّ: وَيْحَكَ يَا كَعْبُ! افْتَحْ لِي، قَالَ: وَيْحكَ يَا حُيَيُّ: إِنَّكَ امْرُؤٌ مَشْئُومٌ، وَإِنِّي قَدْ عَاهَدْتُ مُحَمَّدًا، فَلَسْتُ بِنَاقِضٍ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَلَمْ أَرَ مِنْهُ إِلَّا وَفَاءً وَصِدْقًا، قَالَ وَيْحَكَ افْتَحْ لِي أُكَلِّمْكَ، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ: وَ اللّه إِنْ أَغْلَقْتُ دُونِي إِلَّا عَنْ جَشِيشَتِكَ [٢] أَنْ آكُلَ مَعَكَ مِنْهَا، فَاحْفَظْ [٣] الرَّجُلَ، فَفَتَحَ لَهُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا كَعْبُ، جِئْتُكَ بِعِزِّ الدَّهْرِ وَبِبَحْرٍ طَامٍّ، جِئْتُكَ بِقُرَيْشٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا، حَتَّى أَنْزَلْتهمْ بِمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةَ، وَبِغَطَفَانَ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا حَتَّى أَنْزَلْتُهُمْ بِذَنَبِ نَقْمَى إِلَى جَانِبِ أُحُدٍ،

(١) محمد في المدينة ص ٣٨.

(٢) هِيَ: أَنْ تُطْحَن الحِنْطَة طَحنا جَلِيلا، ثُمَّ تُجْعَل فِي القُدُور ويُلقَى عَلَيْهَا لَحم أَوْ تَمْر وتُطْبَخ، وَقَدْ يُقال لَهَا دَشِيشَة بالدَّال / النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ٢٧٣.

(٣) الحَفِيظةُ: الغضَبُ لحُرمة تُنْتَهكُ مِنْ حُرُماتك، أَو جارٍ ذِي قَرابةٍ يُظلَم مِنْ ذَوِيك، أَو عَهْد يُنْكَث، والحِفْظة والحَفِيظة: الغضَب / لسان العرب ٧ / ٤٤٢.

قَدْ عَاهَدُونِي وَعَاقَدُونِي عَلَى أَنْ لَا يَبْرَحُوا حَتَّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ: جِئْتَنِي وَ اللّه بِذُلِّ الدَّهْرِ، وَبِجَهَامٍ [١] قَدْ هَرَاقَ مَاءَهُ، فَهُوَ يَرْعَدُ وَيَبْرُقُ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَيْحَكَ يَا حُيَيُّ! فَدَعْنِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا صِدْقًا وَوَفَاءً، فَلَمْ يَزَلْ حُيَيٌّ بِكَعْبٍ يَفْتِلُهُ [٢] فِي الذِّرْوَةِ وَالْغَارِبِ [٣]، حَتَّى سَمَحَ لَهُ، عَلَى أَنْ أَعْطَاهُ عَهْدًا (مِنْ اللّه) وَمِيثَاقًا: لَئِنْ رَجَعَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ، وَلَمْ يُصِيبُوا مُحَمَّدًا أَنْ أَدْخُلَ مَعَكَ فِي حِصْنِكَ حَتَّى يُصِيبَنِي مَا أَصَابَكَ، فَنَقَضَ كَعْبُ بن أَسَدٍ عَهْدَهُ، وَبَرِئَ مِمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللّه ﷺ [٤].

أشيع هذا الموقف من بنى قريظة في أصحاب رسول الله ﷺ، فإذا برسول الله ﷺ لم يعجل بمهاجمتهم، قبل أن يستوثق من الخبر.

أخرج البخاري بإسناده إلى جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، قَالَ الزُّبَيْرُ أَنَا، ثُمَّ قَالَ مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، قَالَ الزُّبَيْرُ أَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ [٥].

---

(١) الجَهَام: السَّحَابُ الَّذِي فَرَغَ مَاؤُهُ / النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ٣٢٣.

(٢) الفَتْل: لَيُّ الشَّيْءِ، وفَتَله عَنْ وَجْهِهِ فانْفَتَلَ أَي صَرَفَهُ فَانْصَرَفَ، وَمَا زَالَ فُلَانٌ يَفْتِل مِنْ فُلَانٍ فِي الذِّرْوة والغارِب أَي يَدُور مِنْ وراءِ خَدِيعَتِهِ / لسان العرب ١١ / ٥١٤.

(٣) الغَارِب: مُقَدَّم السَّنَام، والذِّرْوَة: أَعْلَاهُ، وَالْأَصْلُ فِيهِ: أَنَّ الرجُل إِذَا أَرَادَ أَنْ يُؤَنِّسَ البَعِير الصَّعْبَ لِيَزُمَّه ويَنْقَادَ لَهُ، جَعَلَ يُمِرُّ يَدَهُ عَلَيْهِ، ويمسح غَارِبَه، ويَفْتِل وَبَره، حَتَّى يَسْتَأْنِس ويَضَع فِيهِ الزِّمام / النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ٣٥٠.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٢٠، هكذا دون إسناد، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٩ / ١٦٠ – ١٦١ رقم ١٨٨٨٩، إسناده ضعيف؛ لإرساله.

(٥) صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير – باب فضل الطليعة ٣ / ١٠٤٦ رقم ٢٦٩١.

قال البدر العيني [١] – رحمه الله –: قوله (من يأتيني بخبر القوم) أراد بهم بني قريظة من اليهود[٢].

قلت: جاء النص الصريح على ذلك عند أحمد بإسناده إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: قَالَ اشْتَدَّ الْأَمْرُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ أَلا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَانْطَلَقَ الزُّبَيْرُ فَجَاءَ بِخَبَرِهِمْ، ثُمَّ اشْتَدَّ الْأَمْرُ أَيْضًا فَذَكَرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَابْنُ الزُّبَيْرِ حَوَارِيَّ [٣].

قال ابن حجر – رحمه الله –: فَقِصَّةُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه كَانَتْ لِكَشْفِ خَبَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ، هَلْ نَقَضُوا الْعَهْدَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَوَافَقُوا قُرَيْشًا عَلَى مُحَارَبَةِ الْمُسْلِمِينَ؟ [٤].

أخرج مسلم بإسناده إلى عَبْدِ اللهِ بن الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَعُمَرُ بن أَبِي سَلَمَةَ، يَوْمَ الْخَنْدَقِ مَعَ النِّسْوَةِ فِي أُطُمٍ [٥] حَسَّانَ، فَكَانَ يُطَأْطِئُ لِي مَرَّةً فَأَنْظُرُ، وَأُطَأْطِئُ لَهُ مَرَّةً فَيَنْظُرُ، فَكُنْتُ أَعْرِفُ أَبِي إِذَا مَرَّ عَلَى فَرَسِهِ فِي السِّلَاحِ، إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، قَالَ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بن عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن الزُّبَيْرِ، قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي فَقَالَ: وَرَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا وَاللهِ لَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَوْمَئِذٍ أَبَوَيْهِ، فَقَالَ: " فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي "[٦].

---

(١) مَحْمُود بن أَحْمد بن مُوسَى العينتابي الْحَنَفِيّ، قَاضِي الْقُضَاة بدر الدّين الْعَيْنِيّ، ولد فِي رَمَضَان سنة اثْنَتَيْنِ وَستِّينَ وَسَبْعمائة، له عدَّة مصنفات مِنْهَا: " شرح البُخَارِيّ " و " شرح مَعَاني الْآثَار للطحاوي " مَات فِي ذِي الْحجَّة سنة خمس وَخمسين وَثَمَانمِائَة / نظم العقيان في أعيان الأعيان ص ١٧٤ ترجمة ١٨٩.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢١ / ٣٠٢.

(٣) مسند أحمد ٣ / ٣١٤ رقم ١٤٤١٥، إسناده صحيح.

(٤) فتح الباري ٧ / ٤٠٧ رقم ٣٨٨٧.

(٥) الأُطُم بالضَّمِ: بناءٌ مُرْتَفِع، وَجَمْعُهُ آطَامٌ / النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ٥٤.

(٦) صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة – بَابُ مِنْ فَضَائِلِ طَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ ٧ / ١٢٨ رضي الله عنه رقم ٦٣٩٨.

قال ابن بطال – رحمه الله –: وأما قصة الزبير رضي الله عنه فإنما هي ليعرف أمر العدو، والواحد الثابت في ذلك أخفي على العدو، وأقرب إلى التجسس بالاختفاء والقرب منهم، مع ما علم الله من نيته والتأييد عليها، فبعثه ﷺ واثقًا بالله (١).

عُلِمت يقينًا خيانة يهود بني قريظة، فلا عتب بعدُ على قصدهم بالعقاب على مقتضى تلك الخيانة، التي جاءت في أحلك المواطن، وأصعب الأحداث.

ولعل كيفية الذهاب إلى بني قريظة – وعدم قصدهم قصداً أوليًا – تتضح فيما نقل بالأدلة الصحيحة، فبعد انصراف الأحزاب، وإخزاء الله تعالى لهم، فلا داعي لحمل السلاح، فليوضع السلاح جانبًا، كأنَّ هذا الواقع، ولكنَّ الحدث أكبر من ذلك.

أخرج البخاري بإسناده إلى عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: " قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ واللّه مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ، قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ (٢)، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ "(٣).

حقيقة إن الجرم الذي اقترفه يهود بنى قريظة، حقيق أن تعاجل لهم العقوبة تبعًا له، وليكن جبريل عليه السلام، سباقًا في هذا الأمر.

أخرج البخاري بإسناده إلى أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: " كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ، مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللّه عَلَيْهِ، حِينَ سَارَ رَسُولُ اللّه ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ " (٤).

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٥ / ١٥٥.

(٢) وذلك لأنهم كانوا نقضوا العهد، وتمالؤوا مع قريش وغطفان على حربه ﷺ / إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٦ / ٣٢٨ رقم ٤١١٧.

(٣) صحيح البخاري – كتاب المغازي – باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم ٤ / ١٥١٠ رقم ٣٨٩١.

(٤) صحيح البخاري – كتاب المغازي – باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم ٤ / ١٥١٠ رقم ٣٨٩٢.

قال الملا علي القاري – رحمه الله تعالى –: الظَّاهِرُ أَنَّ ذَلِكَ الزُّقَاقَ كَانَ مَهْجُورًا مَنْ سَيْرِ النَّاسِ فِيهِ، فَرُؤْيَةُ الْغُبَارِ السَّاطِعِ مِنْهُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَثَرِ جُنْدِ الْمَلَائِكَةِ، وَالْغَالِبُ أَنَّ رَئِيسَهُمْ جِبْرِيلُ عليه السلام، وَهُوَ مَعَهُمْ، أَوْ هُوَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَإِضَافَتُهُمْ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَالْأَتْبَاعِ لَهُ (١).

الذهاب إلى بني قريظة:

إشارة سابقة من جبريل عليه السلام إلى يهود بنى قريظة، تجد سرعة إجابة من رسول الله ﷺ، فإذا به ﷺ يأمر أصحابه بسرعة التلبية.

أخرج البخاري بإسناده إلى ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ: " لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ "، فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ العَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ (٢).

يقول أحمد بن عمر القرطبي (٣) – رحمه الله –: كان هذا من النبي ﷺ لما هزم الله تعالى الأحزاب، ورجع هو وأصحابه إلى المدينة، فألقوا السِّلاح، فجاءه جبريل عليه السلام، فقال له: ألقيت السِّلاح، ولا والله ما ألقت الملائكة السِّلاح، فاخرج إلى بني قريظة فإني منطلق إليهم، ومزلزلٌ بهم حصونهم، فحينئذ نادى رسول الله ﷺ ذلك النداء (٤).

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٩ / ٣٧٨٧ رقم ٥٨٨١.

(٢) صحيح البخاري – كتاب المغازي – باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم ٤ / ١٥١٠ رقم ٣٨٩٣.

(٣) أَحْمد بن عمر بن إِبْرَاهِيم أَبُو الْعَبَّاس الْأنْصَارِيّ الْقُرْطُبِيّ الْمَالِكِي الْمُحدث، نزيل الْإِسْكَنْدَرِيَّة، ولد بقرطبة سنة ثَمَان وَسبعين، اخْتصرَ الصَّحِيحَيْنِ ثمَّ شرح مُخْتَصر صَحِيح مُسلم وَسَماهُ الْمُفْهم، وَتُوفِّي بالإسكندرية سنة سِتّ وَخمسين وست مائَة / الوافي بالوفيات ٧ / ١٧٣ ترجمة ٣.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١٦ / ٨٨.

هو إذن مراد الله تعالى، بَلَّغَهُ أمين وحي السماء جبريل عليه السلام، فأحسن رسول الله ﷺ استقباله، وتبعه في ذلك أصحابه الكرام رضي الله عنهم.

الشبهة الثانية: التشويش بمهاجمتهم رغم وقوفهم على الحياد في القتال:

يقول المستشرق مونتجمرى وات: وقد ظلت هذه القبيلة (بنو قريظة) أثناء حصار المدينة على الحياد، فيما يتعلق بالعمل العسكري [١]، ولكنها قامت بالمفاوضات مع أعداء محمد، ولو أنها وثقت من قريش وحلفائهم من اليهود لانقلبت على محمد [٢].

الرد:

تمويه واضح من المستشرق، لا يُلحظ إلا عند الإمعان فيه، فبنو قريظة باعترافه كانت لهم علاقة بأعداء محمد ﷺ، لكنها تسمى عنده بمسميات أخرى – مفاوضات –، دون أن ينطق باللفظة الأنسب لموقفهم الممقوت في هذا الوقت بخصوصه، وهى لفظة (الخيانة)، ونقض العهود والمواثيق مع رسول الله ﷺ، ولعل هذا ما يفهم من بقية ألفاظه – دون أن يقصد – بأنهم لو وثقوا من قريش وحلفائهم بالنصرة على محمد ﷺ، لانقلبوا عليه في صفوف المقاتلين له، فهل هذا العمل من يهود بنى قريظة – المفاوضات مع أعداء محمد ﷺ في الخفية، أو مشاركتهم في قتاله إن أمكن ذلك – يسمى بغير الخيانة؟

(١) ومع هذا الزعم منه لكنه قال: " أن هجوم بنى قريظة من الجنوب على مؤخرة المسلمين كان بإمكانه القضاء على رسالة محمد " / محمد في المدينة ص ٥٨.

(٢) محمد في المدينة ص ٣٢٦.

الشبهة الثالثة: الادعاء بأن النبي - ﷺ - لم يحكم فيهم بنفسه خوفاً من منازعة أصحابه من حلفائهم:

يقول المستشرق وليام مونتجمرى وات: وكذلك مسألة معاقبة قريظة على خيانتها، لم يغامر محمد - ﷺ - في إصدار حكم بنفسه، فلو أنه قرر سفك دماء قريظة لدعا الشرف بعض حلفاء اليهود، ولو كانوا مسلمين، إلى الثأر لهم، ولهذا ترك تقرير العقوبة إلى زعيم القبيلة التي كانت قريظة حليفة لها [1].

الرد:

تحريف بَيِّنٌ للواقع، بحسب هوى المستشرق؛ وإلا فمن اليسير أن يحكم النبي ﷺ فيهم بما أراد، لا سيما وأصحابه مهاجرين وأنصاراً، قد لبى جميعهم دعوته في سرعة الذهاب إلى بنى قريظة، ومحاصرتهم بعدُ، ما تخلف منهم أحد، لا حلفاء بنى قريظة من الأنصار ولا غيرهم.

وأما الادعاء أن المانع للنبي ﷺ، أن يحكم فيهم، أنه لو فعل لأخذ بثأرهم حلفاؤهم من الأنصار – الأوس – فهذا في مخيلته فقط؛ إذ كيف يُثأر من مسلم لكافر؟ ثم أين هم وتلبيتهم في حصار بنى قريظة؟ ثم إنه لم يؤثر عنهم قبل المخالفة لحكم رسول الله ﷺ، فلم يخالفونه الآن؟ كيف ومن حُكِمَ فيهم أرادوا العداء عليهم ضمن مجموع أصحابه ﷺ؟.

أقول: إنما لم يحكم النبي ﷺ فيهم أولاً، وأحال الحكم لغيره، إجابة لدعوة أصحابه من الأوس [2]، حلفاء بنى قريظة؛ شفاعة منهم في حلفائهم، لعل الحكم فيهم يكون أخف

---

(١) محمد نبيًا ورجل دولة ص ٢٢٩.

(٢) فَتَوَاثَبَتْ الْأَوْسُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُمْ مَوَالِينَا دُونَ الْخَزْرَجِ، وَقَدْ فَعَلْتَ فِي مَوَالِي إِخْوَانِنَا بِالْأَمْسِ مَا قَدْ عَلِمْتُ – وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْلَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ حَاصَرَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَسَأَلَهُ إِيَّاهُمْ عَبْدُ اللهِ بن أُبَيٍّ بن سَلُولَ، فَوَهَبَهُمْ لَهُ – فَلَمَّا كَلَّمَتْهُ الْأَوْسُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى / السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٣٩.

من قبح جرمهم، وجاء الاختيار من يهود بنى قريظة أنفسهم، في سيد الأوس سعد بن معاذ رضى الله عنه، طلبًا أن يكون حكمه في صالحهم، لكونه من حلفائهم.

أخرج ابن حبان بإسناده إلى عَائِشَةَ رضى الله عنها، قَالَتْ: خَرَجْتُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَقْفُو أَثَرَ النَّاسِ، فَسَمِعْتُ وَئِيدَ الْأَرْضِ مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا أَنَا بِسَعْدِ بن مُعَاذٍ وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بن أَوْسٍ يَحْمِلُ مِجَنَّهُ، فَجَلَسْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَمَرَّ سَعْدٌ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا أَطْرَافُهُ، فَأَنَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أَطْرَافِ سَعْدٍ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ وَأَطْوَلِهِمْ، قَالَتْ: فَمَرَّ وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ:

لَبِّثْ قَلِيلًا يُدْرِكِ الْهَيْجَا [١] حَمَلْ... مَا أَحْسَنَ الْمَوْت إِذَا حَانَ الْأَجَلْ

قَالَتْ: فَقُمْتُ فَاقْتَحَمْتُ حَدِيقَةً، فَإِذَا فِيهَا نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: وَيْحَكِ مَا جَاءَ بِكِ لَعَمْرِي وَ اللّه إِنَّكِ لَجَرِيئَةٌ، مَا يُؤْمِنُكِ أَنْ يَكُونَ تَحَوُّزٌ [٢] أَوْ بَلَاءٌ، قَالَتْ: فَمَا زَالَ يَلُومُنِي حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنَّ الْأَرْضَ قَدِ انْشَقَّتْ فَدَخَلْتُ فِيهَا، وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ نَصِيفَةٌ [٣] لَهُ، فَرَفَعَ الرَّجُلُ النَّصِيفَ عَنْ وَجْهِهِ، فَإِذَا طَلْحَةُ بن عُبَيْدِ اللّه، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا عُمَرُ، إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ مُنْذُ الْيَوْمَ، وَأَيْنَ الْفِرَارُ إِلَّا إِلَى اللّه؟، قَالَتْ: وَرَمَى سَعْدًا رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ الْعَرِقَةِ، بِسَهْمٍ قَالَ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِقَةَ فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ فَقَطَعَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ، وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيهِ فِي

(١) الهَيْجُ والهِياجُ والهَيْجا والهَيْجاءُ: الْحَرْبُ، بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ؛ لأنها مَوْطِنُ غَضَبٍ / لسان العرب ٢ / ٣٩٥.

(٢) التَّحَوُّز: التَّلَبُّث والتَّمَكُّث، والتَّحَيُّز والتَّحَوُّز: التَّلَوّي والتقلُّب / لسان العرب ٥ / ٣٤٠.

(٣) النَّصِيف: الخِمار، وَقَدْ نَصَّفَتِ المرأَةُ رأْسها بِالْخِمَارِ، وانْتَصَفَت الْجَارِيَةُ وتَنَصَّفَت أَي اخْتَمَرَتْ / لسان العرب ٩ / ٣٣٢.

الْجَاهِلِيَّةِ، فَبَرَأَ كَلْمُهُ [1]، وَبَعَثَ اللهُ الرِّيحَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَكَفِي اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ، وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا، فَلَحِقَ أَبُو سُفْيَانَ بِتِهَامَةَ، وَلَحِقَ عُيَيْنَةَ وَمَنْ مَعَهُ بِنَجْدٍ، وَرَجَعَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، فَتَحَصَّنُوا بِصَيَاصِيهِمْ، فَرَجَعَ رَسُولُ اللّه ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَضُرِبَتْ عَلَى سَعْدٍ فِي الْمَسْجِدِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ، قَالَتْ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: أَوَقَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، فَوَ اللّه مَا وَضَعَتِ الْمَلَائِكَةُ السِّلَاحَ، اخْرُجْ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَقَاتِلْهُمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللّه ﷺ بِالرَّحِيلِ، وَلَبِسَ لأُمَتَهُ، فَخَرَجَ فَمَرَّ عَلَى بَنِي غَنْمٍ وَكَانُوا جِيرَانَ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: " مَنْ مَرَّ بِكُمْ "؟ قَالُوا: مَرَّ بِنَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللّه ﷺ فَحَاصَرَهُمْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا، فَلَمَّا اشْتَدَّ حَصْرُهُمْ، وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَيْهِمْ، قِيلَ لَهُمُ انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللّه ﷺ، فَاسْتَشَارُوا أَبَا لُبَابَةَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ الذَّبْحُ، فَقَالُوا: نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بن مُعَاذٍ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللّه ﷺ إِلَى سَعْدٍ، فَحَمَلَ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ وَحَفَّ بِهِ قَوْمُهُ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ النِّكَايَةِ وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ، فَلَا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ ذَرَارِيِّهِمُ الْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: قَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَنْ لَا يُبَالِي فِي اللّه لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَلَمَّا طَلَعَ عَلَى رَسُولِ اللّه ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: " قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ"، قَالَ عُمَرُ: سَيِّدُنَا اللهُ، قَالَ: " أَنْزِلُوهُ "، فَأَنْزَلُوهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّه ﷺ: " احْكُمْ فِيهِمْ "، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَى ذَرَارِيِّهِمْ، وَتُقْسَمُ أَمْوَالُهُمْ، قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: " لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللّه وَرَسُولِهِ " [2].

---

(١) أَصل الكَلْم الجُرْح / لسان العرب ١٢ / ٥٢٥.

(٢) صحيح ابن حبان - كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين - ذِكْرُ وَصْفِ دُعَاءِ سَعْدِ بن مُعَاذٍ لَمَّا فَرَغَ مِنْ قَتْلِ بَنِي قُرَيْظَةَ ١٥ / ٤٩٨ رقم ٧٠٢٨، إسناده حسن، فيه:

=

قال الخطابي – رحمه الله –: فيه دليل على أن من حكم رجلاً في حكومة بينه وبين غيره، فرضيا بحكمه، كان ما حكم به ماضيًا عليهما، إذا وافق الحق [١].

أخرج البخاري بإسناده إلى أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ هُوَ ابْنُ مُعَاذٍ، بَعَثَ رَسُولُ اللّه ﷺ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: " قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ " فَجَاءَ، فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللّه ﷺ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَؤُلاَءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ المُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ، قَالَ: " لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ المَلِكِ "[٢].

قال الملا علي القاري [٣] – رحمه الله –: أَيْ أَصَبْتَ بِهِمْ، وَقَضَيْتَ بِقَضَاءٍ ارْتَضَى اللهُ بِهِ[٤].

فدل ذلك على أن حكم الله في الواقعة متقرر، فمن أصابه فقد أصاب الحق، ولولا

عمرو بن علقمة بن وقاص، قال الذهبي: وثق، وذكره ابن حبان في الثقات، وذكر الذهبي في الميزان روايته عن أبيه حديث (إن الرجل ليتكلم بالكلمة) وتصحيح الترمذي للحديث، وقال ابن حجر: مقبول / الكاشف ٢ / ٨٤ ترجمة ٤١٩٩، الثقات ٥ / ١٧٤ ترجمة ٤٤٣١، ميزان الاعتدال ٣ / ٢٨١ ترجمة٦٤١٣، تقريب التهذيب ١ / ٧٤١، وعزاه ابن كثير إلى الإمام أحمد في مسنده- ٦ / ١٤١ رقم ٢٥١٤٠ –، وقال: إسناده جيد / البداية والنهاية ٤ / ١٤٢.

(١) معالم السنن ٤ / ١٥٥.

(٢) صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير – بَابُ إِذَا نَزَلَ العَدُوُّ عَلَى حُكْمِ رَجُلٍ ٣ / ١١٠٧ رقم ٢٨٧٨.

(٣) علي بن (سلطان) محمد نور الدين الملّا الهروي القاري، ولد في هراة، وسكن مكة وتوفي بها، صنف كتبا كثيرة: منها " تفسير القرآن "، و " الأثمار الجنية في أسماء الحنفية " و " الفصول المهمة "، و " بداية السالك " و " شرح مشكاة المصابيح "، وفاته ١٠١٤ ه / الأعلام للزركلي ٥ / ١٢.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٦ / ٢٥٤٨.

ذلك لم يكن لسعد رضي الله عنه مزية في الصواب [١].

قال محمد بن حمد الصوياني: هذا هو حكم الله في هؤلاء اليهود، الذين كادوا ينشرون الموت والرعب في كل شبر في المدينة، لو انتصر الأحزاب.. حكم عاجل، وحازم، وحاسم.. أخرج نبيه من بيته.. من استراحته.. وأمره على الفور بالخروج لتنفيذ هذا الحكم العادل.. قد يتعاطف أحد مع يهود بني قريظة، ويقول: لماذا هذا الحزم مع اليهود.. لماذا كل هذه الشدة.. ولا أجد جوابًا أعظم من أنه حكم الله وحده لا شريك له [٢].

الشبهة الرابعة: الزعم بأن ألم الجرح لسعد بن معاذ رضي الله عنه وآثار ذلك من حنقه عليهم حمله على شدة الحكم فيهم:

قال المستشرق ألفريد جيوم: فاختار الرسول رجلاً كان يقاسي من جرح مميت، فكان قراره أن يقتل الرجال وتباع النساء والأطفال كعبيد [٣].

ويتفق معه المستشرق جون باجوت جلوب [٤] في الربط بين ألم الجرح لسعد رضي الله عنه، وأثر ذلك الألم على حكمه في بني قريظة قائلاً: ويبدو أن جرحه هذا قد أحفظ فؤاده على اليهود حلفاؤه، فأعلن قراره، وهو يقضي بقتل الرجال، وتقسيم الأموال، وسبي الذراري والنساء [٥].

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٥ / ١٦٣ رقم ٣٠٤٣.

(٢) السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة ٣ / ١٢٦.

(٣) الإسلام ص ٤٧.

(٤) السير جون جلوب باشا - **Sir John. B. Glubb**، (المولود عام ١٨٩٧) ، تخرج من الكلية الحربية الملكية واشتغل في العراق (١٩٢٠) وفي الأردن برتبة لواء (١٩٣٨ - ١٩٥٦)، آثاره: قصة الفيلق العربي، وجندي مع العرب، والفتوح العربية الكبرى، نقله إلى العربية وعلق عليه الأستاذ خيري حماد / المستشرقون ٢ / ٥٥٥.

(٥) الفتوحات العربية الكبرى ص ١٢٢.

يقول المستشرق واشنطن إيرفينغ [١]: ولسوء حظهم اعتبر سعد ﷺ أن تعاونهم مع العدو خرق لميثاقهم مع الرسول ﷺ بعداء لا مبرر له، وكان لا يزال يعاني من جراحه بالمعركة حيث كان يدعو الله أن لا يميته من هذه الجراح قبل أن يثأر من بني قريظة، وتلك كانت مشاعره عندما صار أمرهم إليه [٢].

ويقول المستشرق بودلي[٣]: وإن ما يمكن قوله هو أن لما يصبح الناس متعصبين للدين يصيرون متعصبين، فيحبون أن يقتلوا الذين يختلفون معهم في أمور عقائدهم [٤].

تلك تقولاتهم والتي لا تخرج عن حيز القدح بأن الحامل لسعد ﷺ على حكمه بما حكم به في بني قريظة، إنما هو الألم النفسي ومشاعر الحنق والتعصب عليهم، وليس ما يرجى منه من العدالة في هذا الموطن.

الرد:

هكذا يحرف هؤلاء المستشرقون الواقع في أحداثه، فيَدَّعُون خلاف الثابت، ويرون الشوك في الورود، ويعمون أن يروا الندى فوقها إكليلا.

إن الادعاء باختيار الرسول ﷺ له للحُكْم في بنى قريظة، كذب على رسول الله ﷺ؛ إذ

---

(١) واشنطن إيرفنج – **Irving. W** (١٧٨٣ – ١٨٥٩)، آثاره: سيرة النبي العربي – من خلال كتاب (محمد ﷺ وخلفاؤه) –، وفتح غرناطة، وأوراق اسبانيا / المستشرقون ٣ / ٩٩٢.

(٢) محمد ﷺ وخلفاؤه ص ٢٨٧.

(٣) ر. ف. بودلي – **Bodley**، **R. V. E**. (١٨٩٢ – ١٩٧٠)، آثاره: الرسول، حياة محمد – وقد آمن في مقدمته بسلامة العقيدة الإسلامية وضل من بعد في تفسير الزكاة والجنة والنار والقضاء والقدر (لندن ١٩٤٦) / المستشرقون ٢ / ٥٢٩.

(٤) الرسول ﷺ ص ٢١١.

بنو قريظة هم من اختاره رضى الله عنه، وما فعلوا ذلك إلا رغبة أن يكون حكمه في صالحهم؛ للموالاة بين قومه وبينهم، وأما الإشارة بكونه يعاني جرحًا مميتًا، فماذا يُقْصَد بتلك الإشارة؟ هل يقصد أن حكمه في حاله تلك خلاف الصواب؟ - ولا شيء غيره -، إن كان يُلْمَح إلى هذا، فالإشارة مردودة قائلها؛ لأن موطن الإصابة في عرق بيده، وليس مصاباً برأسه، بحيث يظن أن ألفاظه وأحكامه غير مضبوطة؛ لإصابته في موطن التعقل، وأما مشاعر الحنق والتعصب المدعاة، فلا ريب أنه أبغض منهم موقفهم وخيانتهم، ومن ثم إذا وقع الحكم تبعًا لمقدماته من الخيانة، فلا عتب عليه ﷺ، وأما الزعم بأن قراره كان قتل الرجال، فيقال: بأن هذا حكم وليس قرار، وهو واضح في سرد جزئيات الحدث، كما جاء بالنص الصريح (فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ فنزلوا على حكم سعد رضى الله عنه)، وأما كون سوى من قتل جعلوا عبيداً، فهذا من الرحمة بهم، وإلا فماذا لو كان المقابل قتلهم؟، ثم قد ذُكِرَ ذلك في موطن المَنِّ عليهم، حتى أُكرم بعضهم بالإسلام، فكان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

ثم لننظر هل يستحق هؤلاء القتل أم لا؟.

لقد أظهرت الأحداث، أنه لا عقوبة لبني قريظة، أولى بهم من القتل؛ لعظيم جرمهم، وسوء صنيعهم، ويتضح ذلك في النقاط التالية:

١ - موقف أبى لبابة رضى الله عنه (قِيلَ لَهُمُ انْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَشَارُوا أَبَا لُبَابَةَ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ الذَّبْحُ)، نعم يشير إلى رقبته رضى الله عنه، يقصد القتل، مع أن النبي ﷺ لم ينطق بها، ولم تنقل عنه، فكأن أبا لبابة رضى الله عنه، يرى أن عظيم جرمهم، وقبح خيانتهم، عقوبته هي القتل لا غير.

٢ - موقف قوم سيدنا سعد بن معاذ رضى الله عنه (وَبَعَثَ رَسُولُ اللّه ﷺ إِلَى سَعْدٍ، فَحَمَلَ

عَلَى حِمَارٍ وَعَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ وَحَفَّ بِهِ قَوْمُهُ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، حُلَفَاؤُكَ وَمَوَالِيكَ وَأَهْلُ النِّكَايَةِ [١] وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ، فَلَا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا، حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ ذَرَارِيِّهِمُ الْتَفَتَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: قَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَنْ لا يُبَالِي فِي اللّه لَوْمَةَ لَائِمٍ)، بهذه الألفاظ رد سعد رضى الله عنه على قومه، وهى ألفاظ – كما هو ظاهر – تدل على كثير من المعاني، فلعل قولته تكون في صالحهم، لكن قومه – كما ذكره ابن إسحاق (فَلَمّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ لَقَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَنْ لَا تَأْخُذَهُ فِي اللّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ. فَرَجَعَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَنَعَى لَهُمْ رِجَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ سَعْدٌ عَنْ كَلِمَتِهِ الّتِي سَمِعَ مِنْهُ [٢])، فهموا من قولته تلك الحكم فيهم بالقتل، فإذا قلت لماذا؟ فالجواب: كأن كل واحد منهم – رغم رغبة جماعتهم في عدمه – لو كان في موقف سعد رضى الله عنه، ما حكم فيهم إلا بالقتل.

٣ – ثم هو حكم سعد رضى الله عنه، الذي رَضُوا بحكمه فيهم، ورضى به رسول الله ﷺ حَكَمًا.

٤ – النص الواضح في الحديث بأنه حكم الله تعالى (لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ المَلِكِ).

٥ – ثم هو حكم رسول الله ﷺ الذي أقر كل ذلك، وفَعَّل مضمونه.

وأخيراً ألا يقال – للقادحين في هذا الحكم بأهوائهم –: إن حكمًا في قوم قال به مستشارهم، ثم نطق به موالوهم، ثم جهر به من رضوا به حكمًا فيهم، ثم هو حكم الله ﷻ وحكم رسوله ﷺ، ألا يقال: إن القطع بهذا الحكم وبمضمونه، أثبت وأظهر من التوقف فيه، أو معارضته؟!!!.

(١) يُقَالُ: نَكَيْتُ فِي الْعَدُوِّ أَنْكِي نِكايةً فأَنا ناكٍ، إِذا كَثَّرْتَ فِيهِمُ الجِراح وَالْقَتْلَ، فوَهَنُوا لِذَلِكَ / لسان العرب ١٥ / ٣٤١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٣٩.

الشبهة الخامسة: التقول بأن حكم سعد رضي الله عنه الشديد في بني قريظة بسبب كونهم السبب غير المباشر في إصابته:

زعم بعض المستشرقين أن حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه، في بني قريظة بالقتل، إنما كان بسبب أنهم كانوا سببًا غير مباشر في إصابته أيام الخندق.

وممن قال بهذا الزعم المستشرق بودلي، إذ يقول: فلما بلغ – أي سعد رضي الله عنه – حصن بني قريظة، حتى كان يحس إحساس كراهية لهؤلاء الناس الذين تسببوا عن طريق غير مباشر في جرحه [1].

الرد:

يقال لهذا – ومن نحا منحاه – تلك شكاة ظاهر عن سعد رضى الله عنه عارها، فيبعد كل البعد لمجرد الإصابة – ولو مباشرة من قبلهم – مع أن الإصابة من غيرهم (حبان بن العرقة) –، أن يحكم في حق كثير منهم بالقتل، ألا يكفي أن يقابل الجرح بالجرح، والإصابة بالإصابة، ثم ألا يكفي أن يكون هذا الحكم فيمن أصابه، أو بعضهم، وليس على هذه الصورة من الحكم؟

ثم إن كان حاله كذلك في بغضه لهم، فلماذا رضوا به حكمًا، فضلاً عن طلبهم له نصًا؟

ثم كيف يكون حكمه كذلك – بحسب الزعم – ويخبر عنه رسول الله ﷺ، بأنه وافق حكم الله سبحانه؟.

(١) كتابه: الرسول ص ٢١١.

وأما دعاؤه رضى الله عنه (اللَّهُمَّ لَا تُخْرِجْ نَفْسِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ [١])، فلا يؤخذ منه أنه دعا بذلك، لسببهم غير المباشر في إصابته، وإنما هو لنقضهم العهد مع رسول الله ﷺ، وخيانتهم في هذا الموطن، الذي ينبغي أن يعاقب الخائن فيه على خيانته.

هذا التوجيه لدعائه رضى الله عنه، هو الصواب، والذي يدعمه الواقع، فهو رضى الله عنه لم يدع بهذا فقط، وإنما لدعائه بقية، تظهر أن رغبته في الحياة هُنَيَّة، إنما هي لمواجهة أعداء هذا الدين الحنيف، وليس للعداوة الشخصية كما يُدَّعَى.

أخرج مسلم بإسناده إلى عَائِشَةَ رضى الله عنها: أَنَّ سَعْدًا قَالَ وَتَحَجَّرَ كَلْمُهُ لِلْبُرْءِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَ فِيكَ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شيء فَأَبْقِنِي أُجَاهِدْهُمْ فِيكَ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهَا، فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ فَلَمْ يَرُعْهُمْ - وَفِي الْمَسْجِدِ مَعَهُ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ - إِلاَّ وَالدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ، فَإِذَا سَعْدٌ جُرْحُهُ

(١) صحيح ابن حبان - كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين - ذِكْرُ وَصْفِ دُعَاءِ سَعْدِ بن مُعَاذٍ لَمَّا فَرَغَ مِنْ قَتْلِ بَنِي قُرَيْظَةَ ١٥ / ٤٩٨ رقم ٧٠٢٨، إسناده حسن، فيه: عمرو بن علقمة بن وقاص، قال الذهبي: وثق، وذكره ابن حبان في الثقات، وذكر الذهبي في الميزان روايته عن أبيه حديث (إن الرجل ليتكلم بالكلمة) وتصحيح الترمذي للحديث، وقال ابن حجر: مقبول / الكاشف ٢ / ٨٤ ترجمة ٤١٩٩، الثقات ٥ / ١٧٤ ترجمة ٤٤٣١، ميزان الاعتدال ٣ / ٢٨١ ترجمة٦٤١٣، تقريب التهذيب ١ / ٧٤١، وعزاه ابن كثير إلى الإمام أحمد في مسنده- ٦ / ١٤١ رقم ٢٥١٤٠ -، وقال: إسناده جيد / البداية والنهاية ٤ / ١٤٢.

يَغِذُّ دَمًا فَمَاتَ مِنْهَا [1].

وأخيراً لماذا لا يجعل دعاء سعد رضى الله عنه – بعد تحقيق الله ﷻ له – منقبة له؟، بدلاً من لمزه بسببه، لا سيما وقد أجاب الله سبحانه دعاء سعد رضى الله عنه في جميع جزئياته، فأقر عينه من بنى قريظة، الذين خانوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، وجعل جرحه طريقًا إلى موته شهيداً في سبيله سبحانه.

(١) صحيح مسلم – كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ – باب جَوَازِ قِتَالِ مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ وَجَوَازِ إِنْزَالِ أَهْلِ الْحِصْنِ عَلَى حُكْمِ حَاكِمٍ عَدْلٍ أَهْلٍ لِلْحُكْمِ ٣ / ١٣٩٠ رقم ٦٧ في الباب.

المطلب الرابع

شبهات المستشرقين حول غزوةُ خيبرٍ[١] والرد عليها

ويشتمل على شبهتين، إليك محتواهما مع الرد عليهما.

الشبهة الأولى: الافتراء بأن المقصد المادي هو السبب في غزوة خيبر:

يلمح المستشرق سيديو [٢] إلى أن الرغبة المادية هي التي كانت السبب في التوجه إلى خيبر من قبل المسلمين، فيقول: وسار إلى يهود خيبر الذين كانوا سادة مركز مهم فيجتذبون إليهم معظم تجارة الحجاز ونجد [٣]، ويسفر استيلاء المسلمين على الحصون ذات الكنوز على تقويض سلطان اليهود السياسي إلى الأبد، فوجب عليهم أن يقروا بسيادة محمد بعد

(١) قَالَ مُحَمّدُ بن إسْحَاقَ: ثُمّ أَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ حِينَ رَجَعَ مِنْ الْحُدَيْبِيَةِ، ذَا الْحَجّةِ وَبَعْضَ الْمُحَرّمِ وَوَلِيَ تِلْكَ الْحَجّةَ الْمُشْرِكُونَ، ثُمّ خَرَجَ فِي بَقِيّةِ الْمُحَرّمِ إلَى خَيْبَرَ، وعند الواقدي: تَمَامَ سَنَةَ سِتّ فَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ بَقِيّةَ ذِي الْحَجّةِ وَالْمُحَرّمِ، وَخَرَجَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ سَبْعٍ، وَيُقَالُ خَرَجَ لِهِلَالِ رَبِيعٍ الْأَوّلِ، وقال ابن سعد: في جمادي الأولى، وعند ابن كثير: وحكى موسى عن الزهري أن افتتاح خيبر في سنة ست، والصحيح أن ذلك في أول سنة سبع، قال ابن حجر – رحمه الله تعالى –: وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مُتَقَارِبَةٌ، وَالرَّاجِحُ مِنْهَا مَا ذكره ابن إِسْحَاقَ، وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنَّ مَنْ أَطْلَقَ سَنَةَ سِتٍّ، بَنَاهُ عَلَى أَنَّ ابْتِدَاءَ السَّنَةِ مِنْ شَهْرِ الْهِجْرَةِ الْحَقِيقِيِّ، وَهُوَ رَبِيعٌ الْأَوَّلُ / السيرة النبوي لابن هشام ٢ / ٣٢٨، المغازي ١ / ٦٣٤، الطبقات الكبرى ٢ / ١٠٦، السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٣٤٤، فتح الباري ٧ / ٤٦٤.

(٢) هو: المستشرق لويس أميل سيديو: مستشرق فرنسي، تخرج بكلية هنري الرابع، وعين مدرسا للتاريخ في كلية " بوربون " سنة ١٨٢٣م مات سنة ١٨٧٥ م / الأعلام للزركلي ٥ / ٢٤٦.

(٣) نجد المعروفة في أيامنا: الرياض وما حولها، والقصيم، وسدير، والأفلاج واليمامة، والوشم، وحائل، والقدماء قد يعدّون ما كان على مسافة مائة كيل من شرقي المدينة: " نجدا " / المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص ٢٨٦.

الآن إن لم يقروا برسالته، وهو الذى أخذ مما غنم منهم ما أراد تركه لآله من الميراث [١] [٢].

بل ينص على هذا صراحة المستشرق مونتجمري وات، قائلاً: إن الرسول - ﷺ - أراد الحصول على بعض الغنائم التي يعوض[٣] بها أصحابه خيبة آمالهم في الحديبية، قبل ذلك ببضعة أسابيع [٤].

ويتابعه في هذا المستشرق بودلي - ويزيد عليه - قائلاً: إن من أسباب فتح خيبر أن محمداً شاء أن يعوض خيبة الأمل التي فرضها على أصحابه في الحديبية، ورغبته في استخدام جيشه الجديد [٥].

الرد:

واضح أن الجوانب المادية لا تكاد تنفك عن أذهان المستشرقين، فحيثما كانت غزوة - أو سرية - للنبي ﷺ وأصحابه الكرام رضى الله عنهم، وكان ثمت غنائم، لا تزال الرغبة

---

(١) هذا مردود على القائل به؛ إذ ما يترك الأنبياء عليهم السلام بعد وفاتهم، إنما هو صدقة، وليس ميراثًا، فعند البخاري بإسناده إلى عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ " / صحيح البخاري - كِتَابُ الْفَرَائِضِ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ ٨ / ١٤٩ رقم ٦٧٢٧.

(٢) تاريخ العرب العام ص ٦٩.

(٣) نُقِلَ ما يخالف هذا الزعم، فعند الواقدي: أمر رسول الله ﷺ أَصْحَابَهُ بِالتَّهَيُّؤِ لِلْغَزْوِ فَهُمْ مُجِدّونَ، وَتَجَلّبَ مَنْ حَوْلَهُ يَغْزُونَ مَعَهُ، وَجَاءَهُ الْمُخَلّفُونَ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ رَجَاءَ الْغَنِيمَةِ، فَقَالُوا: نَخْرُجُ مَعَك! وَقَدْ كَانُوا تَخَلّفُوا عَنْهُ فِي غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَأَرْجَفُوا بِالنّبِيّ ﷺ وَبِالْمُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: نَخْرُجُ مَعَك إلَى خَيْبَرَ، إنّهَا رِيفُ الْحِجَازِ طَعَامًا وَوَدَكًا وَأَمْوَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَا تَخْرُجُوا مَعِي إلّا رَاغِبِينَ فِي الْجِهَادِ، فَأَمّا الْغَنِيمَةُ فَلَا، وَبَعَثَ مُنَادِيًا فَنَادَى: لَا يَخْرُجَنّ مَعَنَا إلّا رَاغِبٌ فِي الْجِهَادِ، فَأَمّا الْغَنِيمَةُ فَلَا! / المغازي ٢ / ٦٣٤.

(٤) محمد في المدينة ص ٢١٧ – ٢١٨.

(٥) الرسول ص ٢٤١.

المادية لهذه الغنائم هي الدافع للقتال، وكأن هذا المغنم محقق لهم بمجرد مواجهتهم لأعدائهم، دون جهد أو قتال، أو استشهاد لبعضهم، فهل يُقَدِّم المرء المسلم روحه في مثل تلك المواجهات، لمجرد مغنم مادى؟ وكيف حاله إن أصابه سهم الموت قبل أن يحقق مطلبه المادي؟.

إن ما أشير إليه من المطلب المادي كسبب لهذه الغزوة مردود بالحديث الصحيح.

أخرج البخاري بإسناده إلى أَبِي حَازِمٍ قَالَ أَخْبَرَنِي سَهْلُ بن سَعْدٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ [١] لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللّه ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ؟ فَقِيلَ هُوَ يَا رَسُولَ اللّه يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللّه ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ يَا رَسُولَ اللّه أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللّه فِيهِ، فَوَ اللّه لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ [٢].

قال ابن حجر – رحمه الله تعالى –: يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ تَأَلُّفَ الْكَافِرِ حَتَّى يُسْلِمَ أَوْلَى مِنَ الْمُبَادَرَةِ إِلَى قَتْلِهِ [٣].

(١) أَيْ: يخُوضُون ويمُوجون فِيمَنْ يَدْفَعُها إِلَيْهِ، يُقَالُ وقعَ الناسُ فِي دَوكَةٍ ودُوكَةٍ: أَيْ فِي خوضٍ واختلاطٍ / النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ١٤٠.

(٢) صحيح البخاري – كتاب المغازي – باب غزوة خيبر ٤ / ١٥٤٢ رقم ٣٩٧٣.

(٣) فتح الباري ٧ / ٤٧٨ رقم ٤٢١٠.

وقال الملا علي القاري – رحمه الله تعالى –: وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَ: فَوَ اللّه.. إِلَخْ تَأْكِيدٌ لِمَا أَرْشَدَهُ مِنْ دُعَائِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ أَوَّلًا، فَإِنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ سَبَبًا لِإِيمَانِهِمْ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى قِتَالِهِمُ الْمُتَفَرِّعِ عَلَيْهِ حُصُولُ الْغَنَائِمِ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ وَغَيْرِهَا، فَإِنَّ إِيجَادَ مُؤْمِنٍ وَاحِدٍ خَيْرٌ مِنْ إِعْدَامِ أَلْفِ كَافِرٍ (١).

إذن هداية غير المسلم مُقَدَّمة عند المسلم على قصد ذلك الكافر بقتله أو أخذ ماله.

وأيضًا تُدفع تلك الفرية، بمعاملته ﷺ ليهود خيبر بعد انقضاء الغزوة، حيث قبل منهم بقاءهم على أرضهم، على أن يَكْفُوا المسلمين العمل، ولهم نصف غلتها، فهل صاحب المطلب المادي يتصرف على هذا النحو بعد تغلبه على عدوه؟.

أخرج البخاري بإسناده على ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَجْلَى الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، وَكَانَ رَسُولُ اللّه ﷺ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى أَهْلِ خَيْبَرَ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ الْيَهُودَ مِنْهَا، وَكَانَتْ الْأَرْضُ لَمَّا ظَهَرَ عَلَيْهَا لِلْيَهُودِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلْمُسْلِمِينَ، فَسَأَلَ الْيَهُودُ رَسُولَ اللّه ﷺ أَنْ يَتْرُكَهُمْ عَلَى أَنْ يَكْفُوا الْعَمَلَ وَلَهُمْ نِصْفُ الثَّمَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ نُقِرُّكُمْ عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا، فَأُقِرُّوا حَتَّى أَجْلَاهُمْ عُمَرُ رضي الله عنه فِي إِمَارَتِهِ إِلَى تَيْمَاءَ وَأَرِيحَا (٢).

وما إجلاء سيدنا عمر رضى الله عنه لهم، إلا تبعًا لذلك، لما أحدثوا ما عُهِدَ منهم من الغدر.

أخرج أحمد بإسناده إلى عَبْدِ اللّه بن عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَالزُّبَيْرُ، والْمِقْدَادُ بن الْأَسْوَدِ، إِلَى أَمْوَالِنَا بِخَيْبَرَ نَتَعَاهَدُهَا، فَلَمَّا قَدِمْنَاهَا تَفَرَّقْنَا فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ:

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٩ / ٣٩٣٤.

(٢) صحيح البخاري – كتاب فرض الخمس – باب ما كان للنبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ٣ / ١١٤٩ رقم ٢٩٨٣.

فَعُدِيَ عَلَيَّ تَحْتَ اللَّيْلِ، وَأَنَا نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِي، فَفُدِعَتْ يَدَايَ مِنْ مِرْفَقِي، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ اسْتُصْرِخَ عَلَيَّ صَاحِبَايَ، فَأَتَيَانِي، فَسَأَلانِي عَمَّنْ صَنَعَ هَذَا بِكَ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي، قَالَ: فَأَصْلَحَا مِنْ يَدَيَّ، ثُمَّ قَدِمُوا بِي عَلَى عُمَرَ فَقَالَ: هَذَا عَمَلُ يَهُودَ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا، فَقَالَ: " أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ كَانَ عَامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى أَنَّا نُخْرِجُهُمْ إِذَا شِئْنَا، وَقَدْ عَدَوْا عَلَى عَبْدِ اللّه بن عُمَرَ فَفَدَعُوا [١] يَدَيْهِ كَمَا بَلَغَكُمْ، مَعَ عَدْوَتِهِمْ عَلَى الْأَنْصَارِيِّ قَبْلَهُ، لَا نَشُكُّ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهُمْ، لَيْسَ لَنَا هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرُهُمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ بِخَيْبَرَ فَلْيَلْحَقْ بِهِ، فَإِنِّي مُخْرِجٌ يَهُودَ فَأَخْرَجَهُمْ " [٢].

نعم لما أحدث اليهود ما يستحقون لأجله الإخراج أُخْرِجُوا، وكان هذا على يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال يحيي بن هبيرة الشيباني [٣] – رحمه الله تعالى –: فيه من الفقه أن لوث العداوة معمول به؛ لأن عمر رضي الله عنه، قال: (ليس لنا عدو غيرهم، وقد رأيت إجلاءهم)، يعني اليهود [٤].

أسباب غزوة خيبر:

لم يُظهر يهود خيبر العداء للمسلمين حتى نزل فيهم زعماء بني النضير، الذي حزَّ في

(١) الشدْخُ والشَّقُّ اليَسِيرُ / لسان العرب ٨ / ٢٤٦.

(٢) مسند أحمد ١ / ١٥ رقم ٩٠، إسناده حسن، فيه: محمد بن إسحاق، وقد صرح بالتحديث، فارتفعت عنه تهمة التدليس.

(٣) الوزير الكامل، الإمام، العالم، العادل، أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني الدوري، العراقي، الحنبلي، صاحب التصانيف، مولده: سنة تسع وتسعين وأربع مائة، سنة ستين وخمس مائة / سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٤٢٦ – ٤٢٩ ترجمة ٢٨٢.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح ١ / ١٥٧.

نفوسهم إجلاؤهم عن ديارهم، وكان من أبرز زعماء بني النضير الذين نزلوا في خيبر سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب [١].

كان تزعم هؤلاء ليهود خيبر كافيًا في جرها إلى الصراع والتصدي والانتقام من المسلمين، فقد كان يدفعهم حقد دفين ورغبة قوية في العودة إلى ديارهم داخل المدينة، وكان أول تحرك قوي ما حدث في غزوة الأحزاب، حيث كان لخيبر[٢] وعلى رأسها زعماء بني النضير دور كبير في حشد قريش والأعراب ضد المسلمين وتسخير أموالهم في ذلك، ثم سعيهم في إقناع بني قريظة بالغدر والتعاون مع الأحزاب، بل إنهم أنفقوا أموالهم واستغلوا علاقاتهم مع يهود بني قريظة من أجل نصرة الأحزاب وطعن المسلمين في ظهورهم، وهكذا أصبحت خيبر مصدر خطر كبير على المسلمين ودولتهم النامية [٣].

قلت: فكان من الواجب رفع هذا الضرر المتحقق من قِبَلِ يهود خيبر، بعد الفراغ من صلح الحديبية، كيف وقد وعدها [٤] الله تعالى رسوله ﷺ في قوله تعالى: {وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ

(١) السيرة النبوية الصحيحة ١ / ٣١٩، بتصرف يسير.

(٢) قلت: ولعل ما دفعهم إلى ذلك – أيضًا – منعت حصونهم، وكثرة عددهم وعدتهم، فعند الواقدي: وَكَانَتْ يَهُودُ خَيْبَرَ لَا يَظُنُّونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَغْزُوهُمْ لِمَنَعَتِهِمْ وَحُصُونِهِمْ وَسِلَاحِهِمْ وَعَدَدِهِمْ، كَانُوا يَخْرُجُونَ كُلَّ يَوْمٍ عَشْرَةَ آلَافِ مُقَاتِلٍ صُفُوفًا ثُمَّ يَقُولُونَ: مُحَمَّدٌ يَغْزُونَا؟ هَيْهَاتَ! هَيْهَاتَ! / المغازي ٢ / ٦٣٧.

(٣) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ٣ / ٤٨١، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص١٨٠.

(٤) اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي هَذِهِ الْمَغَانِمِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ أَنَّهُ وَعَدَهَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، أَيُّ الْمَغَانِمِ هِيَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ كُلُّ مَغْنَمٍ غَنِمَهَا اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ لَدُنْ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَقَالَ آخَرُونَ: هَذِهِ الْمَغَانِمُ الَّتِي وَعَدَ اللهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، هِيَ مَغَانِمُ خَيْبَرَ / جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٢٧٩ – ٢٨٠، بتصرف.

وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا. وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} [الفتح: ٢٠ - ٢١].

قال ابن جرير: فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ كُلُّ مَغْنَمٍ غَنَمِهَا اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ لَدُنْ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَقَالَ آخَرُونَ: هَذِهِ الْمَغَانِمُ الَّتِي وَعَدَ اللهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ هِيَ مَغَانِمُ خَيْبَرَ [١].

تلك هي الأسباب والدوافع – الكيد والمكر والتحزيب والعداء من قبلهم لرسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم – الحقيقية والمقبولة نقلاً وعقلاً لغزوة خيبر، وهى أسباب ودوافع وحيثيات لها خطرها في هذا الموطن.

الشبهة الثانية: الادعاء بإجلاء جميع اليهود ما عدا السيدة صفية بنت حيي بن أخطب زوج النبي(ﷺ).

زعم المستشرق بودلي: أن باقي اليهود طردوا جميعًا من خيبر بعد فتحها على يد المسلمين، ما عدا صفية بنت حيي بن أخطب زعيم القبيلة [٢].

الرد:

يقال: هذا تحريف للأحداث الثابتة، فقد ثبت بالدليل الصحيح أن النبي ﷺ صالح يهود خيبر على بقائهم جميعا على أرضهم، والقيام بإصلاحها ولهم نصف ما تنتجه، وأما السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها، فقد بقيت في موطن الرفعة كزوجة لرسول الله ﷺ.

أخرج ابن حبان بإسناده إلى ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَاتَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ حَتَّى أَلْجَأَهُمْ إِلَى قَصْرِهِمْ فَغَلَبَ عَلَى الْأَرْضِ، وَالزَّرْعِ، وَالنَّخْلِ، فَصَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يُجْلَوْا مِنْهَا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٢٧٩.

(٢) الرسول ص ٢٤٥.

وَلَهُمْ مَا حَمَلَتْ رِكَابُهُمْ، وَلِرَسُولِ اللّه ﷺ الصَّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ، وَيَخْرُجُونَ مِنْهَا، فَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَكْتُمُوا وَلَا يُغَيِّبُوا شَيْئًا، فَإِنْ فَعَلُوا، فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ وَلَا عِصْمَةَ، فَغَيَّبُوا مَسْكًا فِيهِ مَالٌ وَحُلِيٌّ لِحُيَيِّ بن أَخْطَبَ، كَانَ احْتَمَلَهُ مَعَهُ إِلَى خَيْبَرَ، حِينَ أُجْلِيَتِ النَّضِيرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ لِعَمِّ حُيَيٍّ: " مَا فَعَلَ مَسْكُ حُيَيٍّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنَ النَّضِيرِ؟ "، فَقَالَ: أَذْهَبَتْهُ النَّفَقَاتُ وَالْحُرُوبُ فَقَالَ ﷺ: " الْعَهْدُ قَرِيبٌ وَالْمَالُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ "، فَدَفَعَهُ رَسُولُ اللّه ﷺ، إِلَى الزُّبَيْرِ بن الْعَوَّامِ، فَمَسَّهُ بِعَذَابٍ، وَقَدْ كَانَ حُيَيٌّ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ دَخَلَ خَرِبَةً، فَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُ حُيَيًّا يَطُوفُ فِي خَرِبَةٍ هَاهُنَا، فَذَهَبُوا فَطَافُوا، فَوَجَدُوا الْمَسْكَ فِي خَرِبَةٍ فَقَتَلَ رَسُولُ اللّه ﷺ ابْنَيْ أَبِي حَقِيقٍ وَأَحَدُهُمَا زَوْجُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بن أَخْطَبَ، وَسَبَى رَسُولُ اللّه ﷺ نِسَاءَهُمْ وَذَرَارِيَّهُمْ، وَقَسَمَ أَمْوَالَهُمْ لِلنَّكْثِ الَّذِي نَكَثُوهُ، وَأَرَادَ أَنْ يُجْلِيَهُمْ مِنْهَا، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ دَعْنَا نَكُونُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ نُصْلِحُهَا، وَنَقُومُ عَلَيْهَا وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللّه ﷺ، وَلَا لِأَصْحَابِهِ غِلْمَانُ يَقُومُونَ عَلَيْهَا فَكَانُوا لَا يَتَفَرَّغُونَ أَنْ يَقُومُوا، فَأَعْطَاهُمْ خَيْبَرَ عَلَى أَنَّ لَهُمُ الشَّطْرَ مِنْ كُلِّ زَرْعٍ وَنَخْلٍ وَشَيْءٍ مَا بَدَا لِرَسُولِ اللّه ﷺ، وكَانَ عَبْدُ اللّه بن رَوَاحَةَ يَأْتِيهِمْ كُلَّ عَامٍ يَخْرُصُهَا [1] عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يُضَمِّنُهُمُ الشَّطْرَ، قَالَ: فَشَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللّه ﷺ شِدَّةَ خَرْصِهِ، وَأَرَادُوا أَنْ يَرْشُوهُ، فَقَالَ: " يَا أَعْدَاءَ اللّه أَتُطْعِمُونِي السُّحْتَ، وَ اللّه لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَأَنْتُمْ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ مِنَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلَا يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَى أَنْ لَا أَعْدِلَ عَلَيْكُمْ "، فَقَالُوا: بِهَذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَالَ: وَرَأَى رَسُولُ اللّه ﷺ بِعَيْنَيْ صَفِيَّةَ خُضْرَةً، فَقَالَ: " يَا صَفِيَّةُ مَا هَذِهِ الْخُضْرَةُ؟"، فَقَالَتْ: كَانَ

(١) الخَرْصُ: حَزْرُ مَا عَلَى النَّخْلِ مِنَ الرُّطَبِ تَمْرًا، وَقَدْ خَرَصْت النخلَ والكرْمَ أَخْرُصُه خَرْصًا، إذا حَزَرَ مَا عَلَيْهَا مِنَ الرُّطب تَمْرًا، وَمِنَ العنَب زَبِيبًا، وَهُوَ مِنَ الظَّنِّ؛ لأَن الحَزْرَ إنما هو تقديرٌ بِظَنِّ / لسان العرب ٧ / ٢١.

رَأْسِي فِي حِجْرِ بن أَبِي حَقِيقٍ وَأَنَا نَائِمَةٌ، فَرَأَيْتُ كَأَنَّ قَمَرًا وَقَعَ فِي حِجْرِي، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَلَطَمَنِي، وَقَالَ: تَمَنَّيْنَ مَلِكَ يَثْرِبَ؟ قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللّه ﷺ مِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيَّ قَتَلَ زَوْجِي وَأَبِي وَأَخِي، فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ، وَيَقُولُ: " إِنَّ أَبَاكِ أَلَّبَ عَلَيَّ الْعَرَبَ وَفَعَلَ وَفَعَلَ "، حَتَّى ذَهَبَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي، وَكَانَ رَسُولُ اللّه ﷺ يُعْطِي كُلَّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ ثَمَانِينَ وَسْقًا [(١)] مِنْ تَمْرٍ كُلَّ عَامٍ وَعِشْرِينَ وَسْقًا مِنْ شَعِيرٍ، فَلَمَّا كَانَ زَمَنَ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ، غَشُّوا الْمُسْلِمِينَ، وَأَلْقَوْا ابْنَ عُمَرَ مِنْ فَوْقِ بَيْتٍ، فَقَالَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ رضي الله عنه: مَنْ كَانَ لَهُ سَهْمٌ مِنْ خَيْبَرَ، فَلْيَحْضُرْ حَتَّى نَقْسِمَهَا بَيْنَهُمْ، فَقَسَمَهَا عُمَرُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ رَئِيسُهُمْ: لَا تُخْرِجْنَا دَعْنَا نَكُونُ فِيهَا كَمَا أَقَرَّنَا رَسُولُ اللّه ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ عُمَرُ لِرَئِيسِهِمْ: أَتَرَاهُ سَقَطَ عَنِّي قَوْلُ رَسُولِ اللّه ﷺ لَكَ " كَيْفَ بِكَ إِذَا أَفَضَتْ بِكَ رَاحِلَتُكَ نَحْوَ الشَّامِ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا "، وَقَسَمَهَا عُمَرُ بَيْنَ مَنْ كَانَ شَهِدَ خَيْبَرَ مِنْ أَهْلِ الْحُدَيْبِيَةِ [(٢)].

تلك هي الأحداث مجملة، وفيها نصرة الله تعالى لأهل الحق، وإرغام أهل الباطل، وبيان رحمة الحق عند تمكنه، وإظهار قبح الباطل في أخلاقياته.

(١) الْوَسْقُ، بالفتح: ستون صاعا، وهو ثلاثمائة وعشرون رطلا عند أهل الحجاز، وأربعمائة وثمانون رطلا عند أهل العراق، على اختلافهم في مقدار الصاع والمد، والأصل في الوسق: الحمل / النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ١٨٥.

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان – كتاب المزارعة – ذكر خبر ثالث يصرح بأن الزجر عن المخابرة والمزارعة اللتين نهى عنهما إنما زجر عنه إذا كان على شرط مجهول ١١ / ٦٠٧ رقم ٥١٩٩، إسناده صحيح

الخاتمـــة

الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد على دوام فضلك، ومزيد عطائك، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فهذه خاتمة البحث أسرد فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، وتتضح في النقاط التالية:

١ – التشويش على غزوات رسول الله ﷺ يقصد إليه بعض المستشرقين قصداً أوليًا.

٢ – المنهج المتبع من قبلهم لعرض شبهاتهم، ما هو إلا قلب للحقائق وتحريف للأحداث.

٣ – التنوع في مسالكم بهدف المشاغبة على السيرة النبوية، ويظهر في تعدد صور تلك الشبهات، بين التشويش على أسباب الغزوة مثلاً، وحينًا بالتحريف لأحداثها، وحينًا باللمز في نتائجها.

٤ – الإسلام دين دعوي، يحرص على هداية الناس جمعيًا، هذا مقصده، وليس ما زُعِمَ من العداء على الدماء والأموال.

٥ – الدين الإسلامي الحنيف يعطي العهود والمواثيق لغير المسلمين، ويفي بذلك، لكن من خان العهد، وعكر صفو السلم، يقابله بما يرد عليه تمرده وخيانته.

٦ – الأدلة الثابتة والصحيحة فيها الرد الواضح على تلك الشبهات التي زعمها هؤلاء المستشرقون.

هذه بعض النتائج التي توصلت إليها من دراستي، والله ﷻ الموفق لما يحب ويرضى والهادي إلى سواء السبيل.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم جل من أنزله.

١- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري - أحمد بن محمد القسطلاني ت ٩٢٣ هـ - المطبعة الكبرى الأميرية - مصر - الطبعة السابعة: ١٣٢٣ هـ.

٢- الإسلام - ألفريد جيوم - تحقيق: محمد هدارة وغيره - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٥٨ م.

٣- الأعلام - خير الدين بن محمود الزركلي ت ١٣٩٦ هـ - دار العلم للملايين - الطبعة الخامسة عشر: ٢٠٠٢ م.

٤- الإفصاح عن معاني الصحاح - يحيى بن هُبَيْرَة الشيبانيّ ت ٥٦٠ هـ - المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد - دار الوطن - ١٤١٧ هـ.

٥- الأموال لابن زنجويه - حميد بن مخلد المعروف بابن زنجويه ت ٢٥١ هـ - تحقيق الدكتور: شاكر ذيب - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - السعودية - الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٦- تاريخ الشعوب الإسلامية - كارل بروكلمان - نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الخامسة: ١٩٦٨ م.

٧- تاريخ العرب العام - ل. أ. سِيدِيُّو - نقله إلى العربية: عادل زُعَيْتَر - عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٨- تقريب التهذيب - أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢ هـ - تحقيق: مصطفي عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٩- جامع البيان عن تأويل آى القرآن - محمد بن جرير الطبرى - المحقق: أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٠ – الرسـول – ر. ف. بودلي – ترجمة: محمد محمد فرج، عبد الحميد جودة السـحار – مكتبة مصر.

١١ – الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام – عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ت ٥٨١ هـ – المحقق: عمر عبد السـلام – دار إحياء التراث العربي– بيروت – الطبعة الأولى: ٢٠٠٠ م.

١٢ – زاد المعاد في هدى خير العباد – محمد بن أبي بكر الدمشـقي ت ٧٥١ هـ – مطبعة الحلبى – الطبعة الثانية: ١٣٦٩ هـ.

١٣ – سنن أبي داود – سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥ هـ – دار الكتاب العربي – بيروت.

١٤ – السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ – المؤلف: د. أكرم ضـياء العمري – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – الطبعة السادسة: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

١٥ –السـيرة النبوية (عرض وقائع وتحليل أحداث) – على محمد الصـلابي – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – الطبعة السابعة: ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

١٦ – السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة – محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة ١٤٠٣هـ – دار القلم – دمشق – الطبعة الثامنة: ١٤٢٧ هـ.

١٧ –السـيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصـحيحة (قراءة جديدة) – محمد بن حمد الصوياني – مكتبة العبيكان – الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

١٨ –السيرة النبوية لابن هشام – عبد الملك بن هشام الحميري ٢١٣ هـ – تحقيق: مصطفي السـقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشـلبي – مطبعة مصـطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة الثانية: ١٩٥٥ م.

١٩- شرح سنن أبي داود - أحمد بن حسين بن رسلان المقدسي ت ٨٤٤ هـ - تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط - دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث - الفيوم - جمهورية مصر العربية - الطبعة الأولى: ٢٠١٦ م.

٢٠- شرح صحيح البخاري لابن بطال - علي بن خلف بن عبد الملك ت ٤٤٩ هـ - تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم - مكتبة الرشد - السعودية - الرياض - الطبعة الثانية: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢١- شرح مشكل الآثار- أحمد بن محمد الطحاوي ت ٣٢١ هـ - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى -: ١٤١٥ هـ - ١٤٩٤ م.

٢٢- صحيح البخاري- محمد بن إسماعيل البخاري- تحقيق: د. مصطفي ديب البغا - جامعة دمشق - دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - الطبعة الثالثة: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٣- صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان) - محمد بن حبان البستي ت ٣٥٤ هـ - ترتيب: علاء الدين على بن بلبان الفارسي ت ٧٣٩ هـ - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٢٤-صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج النيسابوري ت ٢٦١ هـ - دار الجيل بيروت - دار الأفاق الجديدة - بيروت.

٢٥-الطبقات الكبرى - محمد بن سعد البصري الزهري ت ٢٣٠ هـ - المحقق: إحسان عباس - دار صادر - بيروت.

٢٦-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري - محمد بن محمود العيني ت ٨٥٥ هـ - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٢٧-فتح الباري بشرح البخاري - أحمد بن علي العسقلاني ت ٨٥٢ هـ - رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه: محب الدين الخطيب - المكتبة السلفية - مصر - الطبعة الأولى: ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ.

٢٨-الفتوحات العربية الكبرى - جون باجوت جلوب - تعريب وتعليق: خيري حماد - الدار القومية للطباعة والنشر.

٢٩-فقه السيرة - محمد الغزالي - تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني - دار القلم - دمشق - الطبعة السابعة: ١٩٩٨ م.

٣٠- لسان العرب - محمد بن مكرم ابن منظور ت ٧١١ هـ - الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين - دار صادر - بيروت - الطبعة الثالثة: ١٤١٤ هـ.

٣١- محمد ﷺ في المدينة - المستشرق مونتجمرى وات - تعريب - شعبان بركات - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت.

٣٢-محمد ﷺ في مكة - المستشرق الإنجليزي ويليام مونتجمري وات - ترجمه إلى العربية: الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ - راجع الكتاب وعلق عليه: الدكتور أحمد الشلبي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة: ١٤١٥ هـ.

٣٣-محمد ﷺ وخلفاؤه - واشنطن إيرفينغ - ترجمة. د: هاني يحيي نصري - المركز الثقافي العربي - الطبعة الأولى: ١٩٩٩ م.

٣٤-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - علي بن سلطان محمد القاري ت ١٠١٤ هـ - دار الفكر - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.

٣٥-مسند أحمد بن حنبل - أحمد بن محمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ - المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٣٦-المعالم الأثيرة في السنة والسيرة - محمد بن محمد حسن شُـرَّاب - دار القلم - الدار الشامية - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ.

٣٧- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود - حمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخطابي ت ٣٨٨ هـ - المطبعة العلمية - حلب - الطبعة الأولى: ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م.

٣٨- معجم البلدان - ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦ هـ - دار الفكر - بيروت.

٣٩- المغازي - محمد بن عمر بن الواقدي ت ٢٠٧ هـ - تحقيق: مارسدن جونس - دار الأعلمي - بيروت - الطبعة الثالثة: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

٤٠- المستشرقون - نجيب العقيقي ت ١٤٠٢ هـ - دار المعارف القاهرة - مصر ، الطبعة الثالثة: ١٩٦٤م.

٤١- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - أحمد بن عمر القرطبي ت ٦٥٦ هـ - حققه: محيي الدين ديب، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال - دار ابن كثير - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٤٢-ميزان الاعتدال في نقد الرجال - شمس الدين الذهبي المتوفي ٧٤٨ هـ - دراسة وتحقيق: الشيخ: على محمد معوض - الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٤٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني - دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٤- النهاية في غريب الحديث والأثر - المبارك بن محمد ابن الأثير ت ٦٠٦ هـ - تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي - المكتبة العلمية - بيروت: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

الملخص ١٧٧٣

المقدمـــة ١٧٧٥

التمهيد ١٧٧٧

المطلب الأول شبهات المستشرقين حول غزوة بَنِي قَيْنُقَاع والرد عليها .. ١٧٧٩

المطلب الثاني شبهات المستشرقين حول غزوة بَنِي النَّضِيرِ والرد عليها .. ١٧٨٦

المطلب الثالث شبهات المستشرقين حول غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ والرد عليها .. ١٨٠١

المطلب الرابع شبهات المستشرقين حول غزوةُ خيبرٍ والرد عليها ١٨١٩

الخاتمـــة ١٨٢٨

فهرس المصادر والمراجع ١٨٢٩

فهرس موضوعات البحث ١٨٣٤